

## الفصل السادس

### شعراء السياسة والمديح والهجاء

١

#### شعراء الدعوة العباسية

رأينا في الجزء الثاني من هذه السلسلة كيف كانت أحزاب الشيعة والخوارج والزبيريين والأمويين تصطرع وبجاهد بعضها بعضاً، وكيف استقرت على أصول ثابتة في نظرية الخلافة ، فحزب الشيعة كان يرى أن تكون الخلافة في أبناء علي من بني هاشم ، لأنهم أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم وجمهورهم من حفدته وقد أوصى لأبيهم - فيما يذكرون - بالخلافة ، وكان حزب الخوارج يرى أن تُردَّ الخلافة إلى الأمة لتولّي عليها الخليفة التقي الصالح من أعلامها ، وكان حزب الزبيريين يرى أن تُردَّ الخلافة إلى أبناء الصحابة الأولين من المهاجرين وأن تعود إلى الحجاز ، حتى يستدها الحجازيون من أهل مكة والمدينة لا عرب القبائل اليمينية الشامية التي توّازر الأمويين . بينما كان الأمويون يدعون لأنفسهم بأنهم الأكفأ لتلك الخلافة ، ووصلوها بنظام الحكم الأجنبي المتوارث عند القياصرة والأكاسرة . ومضت هذه الأحزاب الأربعة تختصم وبجاهد بعضها بعضاً ، وكان أقصرها عمراً حزب الزبيريين فإنه لم يكد يتجاوز بضع سنوات لا تزيد على ثمان ، أما حزب الشيعة فقد ظفر بحظ من الحكم في الكوفة لعهد المختار الثقفي الذي كان يدعو لمحمد بن الحنفية من أبناء علي والذي أسس نظرية الكيسانية إحدى نظريات المذهب الشيعي ، على أن هذه الحركة سرعان ما خمدت ، غير أن التشيع ظل ملتهباً سراً ، وتكوّن مذهب الزيدية ، وقضى على صاحبه ، ولكن جمرات اللهب ظلت متقدة . وامتشق الخوارج الحسام في غير ميدان ونازلوا الأمويين ودوّخوهم ، ولكنهم استطاعوا أن يقضوا عليهم أو كادوا . ووراء كل هذه الأحزاب كان هناك شعراء كثيرون ينافحون عن سياسة أحزابهم ويظاهرونها على أعدائها ويناضلون نضالاً عنيفاً ،

مما هيأ لازدهار الشعر السياسي .

وإذا تحولنا إلى العصر العباسي وجدنا هذا الشعر يأخذ في الضعف ، لسبب مهم هو ضعف الأحزاب التي يعبر عنها ، أما حزب الزبيريين فكان قد سقط نهائياً منذ سنة ٧٢ للهجرة ، ولم تقم له بعد ذلك قائمة ، وأما حزب الخوارج فإن معاركة مع الأمويين كانت قد طحنته طحنًا ولم تُبق منه إلا بقايا ضعيفة ، كانت كلما تجمعت وأوقدت ثورة قضى عليها قائد عباسي قضاء مبرماً ، وبذلك سقط هذا الحزب هو الآخر لا من حيث جهاد الدولة وحريها فحسب ، بل أيضاً من حيث الشعر والشعراء . أما حزب الشيعة فقد ظل حياً في كثير من النفوس ، وظلت ثوراتهم تتوالى من حين إلى حين وظل كثير من أممتهم وأعلامهم يُقتلون ويسجنون إذ كانوا يزعمون أنهم أولياء الخلافة الأقربون وأصحابها الشرعيون ، وأن العباسيين اغتصبوها منهم اغتصاباً . وكان العباسيون كما أسلفنا في غير هذا الموضوع قد حولوا إلى أسرتههم دعوة الكيسانية وأصبحوا أوصياءها ، ومضوا ينظمون الدعوة ضد بني أمية ، حتى قوّضوا حكمهم ، وأصبحوا ولاة الأمر وأصحاب السلطان ، وأخذوا يرصدون كل حركة للعلويين ، لا تأخذهم فيهم شفقة ولا رحمة . حتى إذا كان المأمون ورأى أن يوصى بالعهد من بعده لعلوي هو علي الرضا بن موسى الكاظم ثار عليه بيته ، واضطُرَّ إلى الانصراف عن تلك الفكرة كما مر بنا .

وعلى هذا النحو ظل الشيعة في العصر العباسي الأول يطالبون بأن ينزل العباسيون عن الحكم ويردوا الأمر إلى نصابه ، وتبعهم في تقرير نظريتهم كثير من الشعراء ، غير أنهم كانوا يخافون بطش العباسيين ، فكانوا ينظمون ما ينظمون سراً وقلمًا أعلنوه ، بل لقد مضى فريق منهم يمدح الخلفاء تقيّةً وبيالغ في مديحه ، حتى ليصبح كأنه من دعائهم . وكثر حينئذ من يدعون لهم كثرة مفرطة ، فقد كانت الدنيا بيدهم وكنوز الدولة في حجورهم فسأل لها لعاب الشعراء ومضوا يدافعون عن حق العباسيين في الخلافة ويردّون على العلويين منكرين حقههم فيها ، مستلهمين رسالة المنصور إلى محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية والتي عرضنا لها في الفصل الأول ، وما ذكره فيها من أن أبناء البنت لا يجوزون الميراث ، إنما يجوز العم وأبناؤه كما قرر الإسلام . ومن الغريب أنه لم يرتفع في هذه الأثناء صوت ثالث يقرّر أن

الخلافة في منشئها كانت تقوم على استشارة الأمة في تولية الصالح من زعمائها ، فهي ليست لُقْمَةً تستأثر بها أسرة خاصة ، بل هي نظام يقوم على الشورى ، هدفه الأساسي مصلحة الجماعة ، وهي شركة بين أفرادها جميعاً يتولاها أعضاؤهم سواء أكان من بيت هاشمي أم لم يكن ، وسواء أكان قرشياً أم كان غير قرشي . وكان المفروض أن يجهر بذلك الفقهاء والمتكلمون ، وكأنما لم يتبينوا حينئذ الطريق الصحيح لحكم الأمة ومصلحتها العامة ، فضوا يصانعون العباسيين مُدْعِين لم خاضعين .

وإذا مضينا نتعقب من كانوا يمدحون الخلفاء العباسيين لهذا العصر وجدناهم أكثر من أن يُحصوا ويستقصوا ، وإنما يهمننا منهم من كانوا يقفون مدافعين عن نظريتهم في الخلافة مناضلين عنهم خصومهم من الشيعة العلويين ، ولا بد أن نلاحظ منذ أول الأمر أن أصحاب مذهب الكيسانية كانوا يوالون العباسيين ، ولذلك لا نعجب إذا رأينا السيد الحميري يكثر من مدحهم لم ، وقد مدح طويلاً أبا العباس السفاح والمنصور والمهدي <sup>(١)</sup> . ويلمع اسم أبي دلامة في بلاطهم جميعاً ، وكانت فيه دعاية جعلتهم يتخذونه لم نديماً ، ومن أوائل من استظهروا في أشعارهم النضال عن سلطان العباسيين أبو نُخَيْلَةَ ، وهو من مخضري الدولتين : الأموية العباسية في مديح السفاح إذ يقول <sup>(٢)</sup> :

حتى إذا ما الأوصياء عسكروا وقام من تَبِرِ النبيِّ الجَوْهَرُ  
أقبل بالناس الهوى المشهُرُ وصاحَ في الليلِ نهاراً أنور  
وواضح أنه يجعل العباسيين أوصياء على الخلافة ، فليس العلويون أصحابها إنما أصحابها العباسيون الذين استُخْلِصُوا لها كما يستخلص الجوهر . وقد مدح المنصورَ كثيرين في مقدمتهم بشار وأبو دلامة نديمه والسيد الحميري ، وزرى أبا نخيلة يمدحه طويلاً ، وقد رَوِيَ له فيه قطعة من أرجوزة يغريه فيها بخلع ولي عهده عيسى بن موسى وعقَدَ العهد لابنه محمد المهدي ، وفيها يقول <sup>(٣)</sup> :

(١) انظر ترجمته في الجزء السابع من الأغاني

طبعة دار الكتب المصرية .

(٢) أغاني ١٨ / ١٥٠ .

(٣) أغاني (طبعة الساسي) ١٨ / ١٤٩ وما

ليس وليُّ عهدِنَا بالأَسْعَدِ عيسى فزَحَلِفُهَا إلى مُحَمَّدٍ<sup>(١)</sup>  
 من عند عيسى معهداً عن معهدٍ حتى تودَى من يدٍ إلى يدٍ  
 فنَادٍ للبيعةِ جمعاً نَحْشُدِ في يومنا الحاضر هذا أو غَدِ  
 ويُعَدُّ المهديُّ أولَ خليفة فتح أبوابه على مصاريعها للشعراء ، فقد مضى  
 يجزل لهم في العطاء ومضوا يجزلون له في الثناء ، وفيه يقول ابن الخياط ، إن صح  
 أنها له (٢) :

لمستُ بكفى كفه أبتغى الغنى ولم أدر أن الجود من كفه يُعدي  
 فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى أفدتُ وأعداني فأتلفت ما عندي

ومن أكثروا من مديحه مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر وأبو دلامة وبشار  
 وأبو العتاهية والسيد الحميري ونُصِبَ الأصغر والعُماني الراجز ، وقد روى له  
 ابن المعتز أرجوزة يستحثه فيها على توليته العهد من بعده ابنه الرشيد والهادي (٣) ،  
 ومن مدَّاحه الحسين بن مُطَير مولى بني أسد ، وكان يغلو في مديحه غلوا شديداً  
 حتى ليرفعه على البشر درجات من مثل قوله (٤) :

لو يعبدُ الناسُ يا مهديُّ أَفْضَلَهُمْ ما كان في الناس إلا أنت معبودُ  
 أضحتُ يمينك من جودٍ مَصَوَّرَةٌ لا بل يمينك منها صُورَ الجودُ  
 لو أن من نوره مِثْقَالَ خَرْدَلَةٍ في السود طُراً إذنٌ لا بيضت السودُ

ونرى كثيرين من الشعراء لعهدده يدافعون عن حقه وحق العباسيين في الخلافة  
 منكرين على العلويين حقهم فيها ، فهم ورثتها الشرعيون وحصونها الحقيقيون ،  
 وفي ذلك يقول ابن المولى (٥) :

وإن أميرَ المؤمنين ورَهْطُهُ لأهلُ المعالي من لُوىِّ بنِ غالبِ  
 أولئك أوتادُ البلادِ ووارثو النِّبِيِّ بأمر الحقِّ غير التكاذبِ

(١) زحلف : دحرج ودفع .  
 (٢) أغاني (طبعة الساسي) ٩٤/١٨ .  
 (٣) طبقات الشعراء لابن المعتز (طبعة دار  
 المعارف) ص ١١١ .  
 (٤) أغاني (طبع دار الكتب) ٢٣١/١٦ .  
 (٥) أغاني ٢٩٣/٣ .

ومضى في القصيدة يذكر بلاء العباسيين في تقويض الحكم الأموي والأخذ للعلويين بثأرهم الذي كان مهدرًا وأعلن بلسان الخليفة أنه رحيم بهم شفيق عليهم لما يربطه بهم من وشائج القربى، وأن من رجع منهم عن غيه وتاب قبل منه توبته وأسدل عليه نعمه .

وكان الهادي منذ ولاية أبيه يقعد للشعراء ويمدحونه<sup>(١)</sup> ، وفي مقدمتهم مروان ابن أبي حفصة وسلم الخاسر ومطيع بن إياس وأبو الخطاب البهدي . وخلفه سريعاً هرون الرشيد، وظل في الخلافة نحو اثنين وعشرين عاماً، ويقول الرواة إنه لم يجتمع بباب أحد ما اجتمع ببابه من الشعراء<sup>(٢)</sup> ، ومن مدّاحه أبو الشيبان والعماني وابن ماذر وعمر بن سلمة ومروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر وأبو نواس وأبو العتاهية ومسلم بن الوليد وأشجع السلمى والسيد الحميري ومنصور النعمري وأبو الغول الطهمي ، وله يذكر عقده العهد لابنيه الأمين والمأمون<sup>(٣)</sup> :

بنيتَ لعبد الله بعد محمدٍ ذُرّاً قُبّةَ الإسلامِ فاخضرَّ عودها  
هما طُنُبَاهَا - بَارِكْ اللهُ فِيهِمَا - وَأَنْتَ - أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - عَمُودُهَا  
ومن مُدَّاحِهِ أيضاً ربيعة الرقيُّ ونُصَيَّبُ الأصغر، ونراه يردُّ له أن خلافته ميراث ورثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> ، كما نرى الشعراء يحيطونه بهالة من التقديس حتى ليقول النعمري<sup>(٥)</sup> :

إن المكارم والمعروف أوديةٌ أحلكَ اللهُ منها حيث تتسعُ  
إذا رفعتَ امرءاً فالله يَرْفَعُهُ ومن وضعتَ من الأَقْوَامِ مَتَضِعُ  
ويقال إنه كان لا يرى بأساً في أن يمدح بما تمدح به الأنبياء<sup>(٦)</sup> ! . وكانت له انتصارات مدوية على الخوارج والروم ، فتغنى بها الشعراء طويلاً .

وولي بعده الأمين ، وكان فيه لهُو ومجون فلزمه أبو نواس ، ومن مدّاحه أبو الشيبان وعبد الله بن أيوب التيمي ، وكان يكثر في مديحه له من التنديد بأخيه

(٤) أغاني (طبعة الساسي) ٢٥/٢٠ وما

بعدها .

(٥) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٤٧/١٣

(٦) أغاني ١٤٤/١٣ .

(١) أغاني ٣٢٦/١٣ .

(٢) انظر الحيوان الجاحظ (طبعة الحلبي)

٣٨٢/٤ .

(٣) ابن المعتز ص ١٤٩ .

المأمون حين خلع طاعته على شاكلة قوله<sup>(١)</sup> :

خِلافةُ اللهِ قد توارثها آباؤه في سِوَالفِ الكُتُبِ  
فَهِيَ له دونكم مورثةٌ عن خاتم الأنبياء في الحِقَبِ  
وقوله<sup>(٢)</sup> :

مَنْ رَأَى النَّاسَ له الفَضَّةَ لَ عَلَيْهِم حَسَدُوهُ  
مِثْلَ ما قد حَسَدَ القَا ثُمَّ بِالهُمُكِ أَخُوهُ

وكان المأمون ممدحاً مثل أبيه الرشيد ، ومن ممدّأحه — وهو لا يزال وليّ عهد — منصور النعمري وأشجع السلمي وأبو محمد اليزيدي مؤدبه ، ومن تغنّوا بمدحه في خلافته أبو تمام وإبراهيم بن المهدي عمه ودعبل وعبد الله بن أيوب التميمي ومحمد بن عبد الملك الزيات وابن البواب ومحمد بن وهيب ، ومدائحهم فيه مبثوثة في أخبارهم بكتاب الأغاني . ومرّ بنا في الفصل السالف تنويه أبي تمام بالمعتصم وانتصاراته المدوية ، ومن ممدّأحه ابن الزيات ومحمد بن وهيب والحسين بن الضحاك ومحمد بن بكار الموصلي وخالد الكاتب . ومن نوهوا بالوائق أبو تمام وله فيه قصائد بديعة . ولعل من الخير أن نقف قليلاً عند نفر من مداح هؤلاء الخلفاء ، هم أبو دلّامة مروان بن أبي حفصة وسلم الخاسر .

### أبو دلّامة<sup>(٣)</sup>

هو زَند بن الجَوْن ، كوفي أسود ، من موالى بني أسد ، كان أبوه عبداً فأعتقه رجل منهم ، وهو من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، ولم يكن له في أيام الدولة الأولى شأن يذكر ، غير أن الدولة العباسية لم تكف تظله حتى أخذ نجمه

(١) طبعة دار الكتب) ٢٣٥/١٠ وابن خلكان  
وتاريخ بغداد ٤٨٨/٨ وشذرات انذهب  
٢٤٩/١ ومرآة الجنان للياقمي ٣٤١/١ والمؤتلف  
١٣١ وممجم الأدباء ١٦٥/١١ وذيل زهر  
الأدب للحصري ( طبعة القاهرة ) ص ٨١ وما  
بعدها . وقد طبع ديوانه بالجزائر .

(١) أغاني ( ساسي ) ١٢٠/١٨ .  
(٢) النجوم الزاهرة ( طبعة دار الكتب )  
١٦١/٢ .  
(٣) انظر في ترجمة أبي دلّامة وأشماره  
وأخباره ابن المعتز ص ٥٤ وابن قتيبة في الشعر  
والشعره ( طبعة دار المعارف ) ص ٧٥١ والأغاني

يتألق إذ قرَّبه منه السفَّاح ، وكانت فيه دعاية جعلته خفيف الظل على قلبه فاتخذه هو ومن وليه من الخلفاء نديماً لهم يُطَرِّفهم بنوادره . ويقول أبو الفرج : « كان فاسد الدين ردىء المذهب مرتكباً للمحارم مضيعاً للفروض مجاهراً بذلك ، وكان يُعَلِّمُ هذا منه ويُعرِّفُ به فيستجاني عنه للطف محله » . ولعل أبا الفرج بنى هذا الحكم على ما ساقه من أخباره إذ ذكر أن المنصور بلغه أنه معتكف على الخمر ولا يحضر صلاة ولا مسجداً ، فأمره بلزوم الجماعة في مسجد قصره ، وطال عليه ذلك فاستغفاه بقصيدة يقول له فيها :

ألم تعلموا أن الخليفة لَزَّنِي بمسجده والقصرِ مالى وللقصرِ !  
وما ضره والله يغفر ذنْبَهُ لو أن ذنوب العالمين على ظهري  
وضحك المنصور حين قرأ القصيدة وأعفاه من الحضور معه . وروى أبو الفرج في موضع ثان أن المنصور أمره بالقيام معه في ليالي شهر رمضان ، وأنه شقَّ عليه ذلك فكتب إلى ربيطة زوجة ابنه المهدي شعراً يضحكها به ويستشفعها عند عمها المنصور . وفي خبر ثالث أن المنصور سجنه لسكوره . وقد يكون فيه لهو وميل للمجون ، أما أن يكون فاسد الدين مخلًا بالفروض للخبرين الأولين وما يشبههما فإن ذلك يكون مبالغة في الحكم إذ كان يذهب بذلك إلى الدعاية شأنه في دعاباته الأخرى التي رواها أبو الفرج وغيره .

ويروى أنه انقطع في بعض أيامه إلى رَوْح بن حاتم بن قبيصة المهلبي ، أما في عامة أيامه فكان ملازماً للخلفاء إذ كانوا يتخذونه نديماً لهم يضحكهم بنوادره ، ويُقال إنه لم يصل إلى أحد من الشعراء ما وصل إليه من المنصور خاصة ، وكان أول ما جعله يُسنى له الجوائز داليته التي مدحه بها حين قتل أبا مسلم الخراساني وفيها يقول :

أبا مجرمٍ ما غيرَ الله نعمةً على عبده حتى يغيرها العبدُ  
أنى دولة المهديِّ حاولتَ غدرةً ألا إن أهل الغدر آباؤك الكردُ  
وواضح أنه يلقب المنصور في البيت الأخير بالمهدي ، مستعيراً ذلك من الشيعة وما يردُّونه في آثارهم عن صفاته وأنه المنقذ الذي يخلص الناس من بلاياهم

وعملاً الأرض عدلاً بعد أن ملئت ظلماً ويهدى الناس إلى الطريق السويّ المستقيم ،  
وتذهب بعض الروايات السنية إلى أن الاسم الحقيقي للمهدي إنما هو محمد ، ولعل  
المنصور لاحظ ذلك حين لقب ابنه محمداً بالمهدي ، وكأنه كان يريد أن يوحى  
لناس بأنه المهدي المنتظر . على أن من الشعراء من مضى مثل أبي دلامة يلقبه هو  
نفسه بهذا اللقب ، وكان ما يزال يرفع من شأنه هو وأسرته درجات فوق العالمين  
على شاكلة قوله :

لو كان يقعد فوق الشمس من كرمٍ قومٌ لِقِيلَ اقْعُدُوا يا آلَ عَبَّاسٍ  
ثم ارتَقُوا في شعاعِ الشمسِ وارتفعوا إلى السماء فأنتم سادةُ الناسِ  
وكان يجيد الرثاء كما يجيد المديح وقد بكى السفاح طويلاً . ولما توفى المنصور  
رثاه بقصيدة جيدة جمع فيها بين الحزن عليه والفرحة بتولية المهدي ، والطريف أنه  
جمع المعنيين في كل بيت من أبياتها على نحو ما نرى في قوله :

عينان : واحدة تُرى مسرورةٌ بإمامها جَدَلِي وأخرى تَدْرِفُ  
تبكي وتضحك مرةً ويسوءها ما أبصرتُ ويسرُّها ما تعرفُ

وله نوادر كثيرة تروىها كتب الأدب ، منها ما يتصل بالخلفاء ونسائهم ،  
ومنها ما يتصل بزوجه وأولاده ، وكان يعرف كيف يجمل بعض نوادره شعراً ،  
إذ كان الشعر يتدفق على لسانه تدفقاً ، ويُروى أنه بَشَّرَ بنت له ، فقال تَوّاً  
مداعباً ومتفكهاً :

فما ولدتكِ مريم أمُّ عيسى ولم يكفُّك لقمانُ الحكيمِ  
ولكن قد تضمك أمُّ سوءٍ إلى لَبَّاتِها وأبُّ لثيمِ

وله بجانب ذلك أشعار في وصف الشراب والرياض ، وانقطع بعد المنصور  
إلى المهدي فكان يصله بالجوائز السنية ويستطيب مجالسته ونوادره إلى أن توفى سنة  
١٦١ للهجرة .

مروان<sup>(١)</sup> بن أبي حفصة

أصل جده من يهود خراسان ، وكان مولى لمروان بن الحكم وهبه له عثمان بن عفان ، ويقال إنه أبلى في الدفاع عنه حين حوصر في داره وقُتل ، فأعتقه مروان جزاءً بثلاثة ، ولما ولي المدينة لمعاوية ولأه على خراج اليمامة ، واقترن هناك بعربية أنجب منها ابنه يحيى ، وكان شاعراً متوسطاً ، ويقال إنه تزوج بنت زياد بن هودبة وأنجب منها فيمن أنجب ابنه سليمان وكان هو الآخر يقرض الشعر ، ورزق سليمان بابنه مروان سنة ١٠٥ للهجرة . وقد نشأ في اليمامة حيث استقرت أسرته والشعر يجري في أعراقه فلم يلبث أن شدا به ، غير أن اسمه لم يلمع إلا في العصر العباسي ، ونراه ينقطع لمعن بن زائدة الشيباني ، وكان جواداً مقداماً وبطلاً مغواراً ، ولأه المنصور اليماني ثم سجستان . ويقال إن مروان أخذ منه مالا كثيراً ، وخاصة حين مدحه بقصيدته اللامية ، وفيها يقول عنه وعن عشيرته :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودُّ لها في بطن خفانٍ أشبل<sup>(٢)</sup>  
همُّ يمنعون الجار حتى كأنما لجارهم بين السماكين منزلٌ  
بهاً ليلٌ في الإسلام سادوا ولم يكن كأولهم في الجاهلية أولٌ  
همُّ القوم إن قالوا أصابوا وإن دُعوا أجابوا وإن أعطوا أطابوا وأجزلوا  
وما يستطيع الفاعلون فعالهم وإن أحسنوا في النائبات وأجملوا

وله بجانب هذه القصيدة فيه قصائد كثيرة ملأ بها حجَّره من الأموال، ومن طريف مديحه فيه قوله يصور سيادته وشرفه وكرمه وشجاعته :

وكذلك فهرس الأغاني ومرآة الجنان لليافعي  
٣٨٩/١ وحديث الأربعماء لطف حسين (طبعة  
الخليج) ٢٨٦/٢ .  
(٢) خفان : مأسدة بالقرب من الكوفة .  
ومطر اسم جد معن ، وهو مطر بن شريك  
الشيباني .

(١) انظر في ترجمة مروان وأشعاره وأخباره  
ابن المعتز ص ٤٢ وابن قتيبة ص ٧٣٩  
والأغاني (طبعة دار الكتب) ٧١/١٠ والموشح  
للمرزباني ص ٢٥١ والنجوم الزاهرة (طبعة دار  
الكتب) ١٠٦/٢ وتاريخ بغداد ١٤٢/١٣  
وشذرات الذهب ٣٠١/١ وابن خلكان ١١٧/٢  
والوزراء والكتاب للجيشياري ، انظر الفهرس ،

مَعْنُ بن زائدة الذى زيدت بهِ شرفاً إلى شرفِ بنو شيبانِ  
 إنْ عُدَّ أَيَّامُ الفَعَالِ فإِنَّمَا يَوْمَاهُ يَوْمَ نَدَى وَيَوْمَ طِعَانِ

وما زال يوالى مديحه له حتى توفى سنة ١٥٢ للهجرة ، فأبنته تأبيناً حاراً ، ومن  
 رائع تأبينه له لامبته ، وفيها يقول معبراً عن حزنه العميق وأساه :

أقمنا باليامة بعد معنٍ مُقَاماً لا نُريدُ له زِيالاً  
 وقلنا : أين نرحل بعد معنٍ وقد ذهب النوال فلا نوالاً

ويقول من أخرى :

قُلْ لِلنَّمِيَةِ لا تُبْقَى على أَحَدٍ إذ مات معنٌ فما مَيّتُ بمفقودٍ

ولما ولى المهدي بعد أبيه المنصور وَفَدَّ عليه ، ولم يكذب يلقى بين يديه أولى  
 قصائده فيه حتى بهره بمديحه ، ولم يكن مديحاً عادياً بالكرم والشجاعة والخلال  
 الكريمة التى يقدرها العرب دائماً ، بل كان أيضاً مديحاً سياسياً ، إذ عمد إلى الدفاع  
 عن حقوق العباسيين فى الخلافة والرد على العلويين وما يدعون من هذه الحقوق ،  
 ولعل شاعرآلم يبلغ فى هذا الدفاع مبلغه ، إذ كان يعرف كيف ينقضُ على العلويين  
 بالحجة القاطعة على نحو ما نرى فى قوله :

هل تَطْمَسُونَ من السماء نجومها بأَكْفُكُمْ أو تسترون هلالها  
 أو تجحدون مقالةً عن ربكم جبريلُ بلغها النبيُّ فقالها  
 شهدتُ من «الأنفال» آخرُ آيةٍ بترائهم فأردتمُ إبطالها

وهو يريد بآية الأنفال قوله تعالى : (والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا  
 معكم فأولئك منكم وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله إن الله بكل  
 شىء عليم) يشير بذلك إلى حق العباسيين فى وراثة الخلافة وأنهم مقدمون فى هذا  
 الحق على أبناء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فاطمة الزهراء إذ العم مقدم على  
 الأسباط فى الوراثة ، على نحو ما هو معروف فى الشريعة الإسلامية . وبلغ من

فرط إعجاب المهدي بالقصيدة أن سأل كم عدد أبياتها ، فقال مروان : مائة ، فأمر له بمائة ألف درهم ، وكانت أول مائة ألف درهم أخذها شاعر في أيام بني العباس . ومضى مروان يردد في مديحه للمهدي هذا الدفاع السياسي عن حق العباسيين في وراثة الخلافة ، وهو يغدق عليه عطاباه الجزيلة ، ومن إحكامه لهذا الدفاع أبياته التالية التي يخاطب بها المهدي :

يا بن الذي ورث النبيَّ محمدًا      دون الأقارب من ذوى الأرحامِ  
الوَحْيُ بين بني البنات وبينكم      قطع الخِصام فلاتَ حينَ خِصامِ  
ما للنساء مع الرجال فريضةٌ      نزلتُ بذلك سورة الأنعامِ  
أننى يكونُ وليس ذاك بكائِنٍ      لبني البنات وراثةُ الأعمامِ  
وما زال يفد على المهدي حتى توفى وخلفه ابنه الهادي فوفد عليه مع من وفدوا  
يهنئونه بالخلافة ويعزونه عن أبيه ودخل فأخذ بعِضادتي الباب ، ثم قال :

لقد أصبحتُ تختالُ في كل بلدةٍ      بقبر أمير المؤمنين المقابرُ  
ولو لم تسكنْ بابنه في مكانه      لما برحتُ تبكى عليه المنابرُ  
ومضى يفد على هرون الرشيد ويجزل له في الصلوات السنية ، ووقَدَ على البرامكة - شأنه في ذلك شأن جميع شعراء الرشيد ، إذ كانوا يجمعون بين مديحه ومديحهم - وله في يحيى بن خالد البرمكي من قصيدة :

إذا بلَغَتْنَا العِيسُ يحيى بن خالدٍ      أخذنا بحبيل اليُسْر وانقطع العُسْرُ  
فإن نشكر النُّعمَى التي عمنا بها      فحقَّ علينا - ما بقينا - له الشكر  
ومن رائع قوله في الفضل بنه :

إذا أمُّ طفلٍ راعها جوعُ طفلها      غَدَّتْهُ بذكر الفضل فاستعصم الطُّفلُ  
ليحيى بك الإسلام إنك عزه      وإنك من قومٍ صغيرهم كَهْلُ  
وليس له وراء المدح والثناء شعر مذكور . وقد اشتهر ببخله وشدة حرصه وكان يلم ببغداد ثم يعود سريعاً إلى اليمامة ، ولذلك لم يتضح عنده التأثير بالحضارة العباسية

وما تُرجم من ثقافات أجنبية، على أنه كان يحكم صنعته إحكاماً بعيداً، ويروى عنه أنه كان يحك التصيدة في سنة ، أما في الأشهر الأربعة الأولى فكان ينظمها ، وكان في الأربعة الأشهر الثانية يصقلها وينقحها ، أما في الأربعة الأشهر الأخيرة فكان يعرضها على الرواة والنقاد حتى إذا وثق من جودتها أنشدها بمدوحه ، وما زال في المحل المرموق من الشعر حتى توفي سنة ١٨٢ ويقال إنه مات مقتولاً بيد شيعي انتقاماً منه للعلويين .

### سلم<sup>(١)</sup> الخاسر

من موالى تسم عشيرة أبي بكر الصديق ، وُلد بالبصرة وبها نشأ، واختلف الرواة في سبب تلقبه بالخاسر ، فقيل إن أباه عمرو بن حماد خلّف له مالا كثيراً أنفقته على الشعر وفي اللهو فلُقّب بذلك ، وقيل بل لأنه اشترى بمصحف ورثه من أبيه طنبورا، وقيل أيضاً إنه إنما لُقّب بذلك لأنه باع مصحفاً واشترى بثمنه دفتر شعر . ويقول أبو الفرج : « هو راوية بشار بن بُرد وتلميذه وعنه أخذ ومن بحره اغترف وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر » وروى عنه أنه قال : « هل أنا إلا جزء من محاسن بشار ، وهل أنطق إلا بفضل منطقه . . إني لأروى له تسعة آلاف بيت ما يعرف أحد غيري منها شيئاً » ويقال إنه كان من أعرف الشعراء بأشعار الجاهلية . ونراه في مطالع حياته يمدح معن بن زائدة وعمر بن العلاء وإلى طبرستان ومدوح أستاذه بشار ، وله يقول :

كم كربةٍ قد مسني ضُرُّها ناديتُ فيها عمر بن العلاء  
ورئي معنا حين توفي رثاء حاراً ، وبنفس اللوعة رثى أبا جعفر المنصور ،  
وفيه يقول :

عجباً للذي نعى الناعيانِ كيف فاهتُ بموته الشفتانِ

الأدباء ١١/٢٣٦ والوزراء والكتاب للجهمياري  
انظر الفهرس .

(١) انظر في سلم وأخباره وأشعاره ابن المعتز  
ص ٩٩ والأغانى ( طبعة الساسى ) ٧٣/٢١  
وتاريخ بغداد ٩/١٣٦ وابن خلكان ومعجم

لَيْتَ كَفَّمَا حَخَّتْ عَلَيْهِ تُرَابًا لَمْ تَعُدُّ فِي يَمِينِهَا بَيْنَانٍ  
 وَتُفْتَحُ لَهُ أَبْوَابُ الْخِلَافَةِ مِنْذُ عَصْرِ الْمَهْدِيِّ ، إِذْ كَانَ يُعْطِيهِ هُوَ وَمِرْوَانَ بْنِ  
 أَبِي حَفْصَةَ عَطِيَّةً وَاحِدَةً . وَيَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِ لِأَنَّهُ كَانَ يَذْهَبُ بِهِ فِي مَدِيحِهِ إِلَى أَنَّهُ  
 الْمَهْدِيُّ الَّذِي وَصَفَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ مَا نُسِبَ إِلَيْهِ مِنْ آثَارٍ ،  
 وَهُوَ يَقُولُ فِي بَعْضِ قِصَائِدِهِ :

وإلى أمير المؤمنين محمد خير الأنام  
 فضل الملوك محمد فضل الحلال على الحرام  
 ويقول :

ومهدى أمتنا والذي حماها وأدرك أوتارها  
 له شيمة عند بذل العطاء لا يعرف الناس مقدارها  
 وكان يقف بجانبه في كل مناسبة ، من ذلك أن نراه ينبري حين اتخذ يعقوب  
 ابن داود وزيراً له قائلاً منوهاً به وبوزيره :

قُلْ لِلْإِمَامِ الَّذِي جَاءَتْ خِلَافَتُهُ تُهْدَى إِلَيْهِ بِحَقِّ غَيْرِ مُرْدُودٍ  
 نَعْمَ الْمَعِينُ عَلَى التَّقْوَى أُعِنْتَ بِهِ أَخُوكَ فِي اللَّهِ يَعْقُوبُ بْنُ دَاوُدَ  
 وَلَمَّا مَاتَتْ ابْنَتُهُ « الْبَانُوكَةُ » حَزَنَ عَلَيْهَا هُوَ وَأَمَهَا الْخَيْرَانُ حَزَنًا شَدِيدًا ،  
 وَإِذَا بِشَاعِرِهِ يَقِفُ بَيْنَ يَدَيْهِ مَعْرِيًّا بِلِ تَادِبًا بَاكِيًا بِمَثَلِ قَوْلِهِ :

أودى ببانوكَةَ رَبِيبُ الزَّمَانِ مُؤَنِّسَةَ الْمَهْدِيِّ وَالْخَيْرَانِ  
 بانوكَ يَا بِنْتَ إِمَامِ الْهُدَى أَصْبَحْتَ مِنْ زِينَةِ أَهْلِ الْجَنَانِ  
 بَكَتْ لِكَ الْأَرْضِ وَسُكَّانُهَا فِي كُلِّ أَفْقٍ بَيْنَ إِنْثِسٍ وَجَانِ

ويقال إنه بلغ المهدي أنه مدح بعض العلويين فتوعده وهم به ، ولكنه  
 استطاع أن يسلم منه سخيمته بقصيدة بالغ فيها في تصوير اعتذاره بمثل قوله :  
 وَأَنْتِ كَالدَّهْرِ مَبْثُوثًا حَبَائِلُهُ وَالِدَّهْرِ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرَبُ

والحق أنه كان خالصاً للعباسيين ، وقد مضى يمدح الهادى بعد المهدي مُصنّفياً عليه نفس صفات القلمية والحلال من مثل قوله :

وجدناك في كتب الأولي ن محي النفوس وقتالها  
لقد جعل الله في راحتك حياة النفوس وآجالها  
وله يقول من أخرى :

لولا هُداكم وفضل أولكم لم تَدْرِ ما أصل دينها العربُ  
ولم يكد الهادى يسمع منه هذا البيت حتى استخفه الطرب ، وأمر له بثلاثمائة ألف درهم . وولى بعده الرشيد فوالى فيه سلم مدائحهم ، ووالى عليه هرون عطاياه الجزيلة ، ومن قوله فيه حين جعل ولاية العهد في ابنه الأمين :

قد بايع الثقلان في مهدي الهدي لمحمد بن زبيدة ابنة جعفر  
ويقال إن زبيدة وصلته من أجل هذه القصيدة بمائة ألف درهم . ولم يلبث الرشيد أن عقد العهد من بعد الأمين للمأمون فنوّه به كما نوّه بأخيه . وجذبه البرامكة إليهم ، فأشاد بهم طويلاً ، ومن رائع قصائده فيهم لاميته التي مدح بها يحيى ابن خالد وفيه يقول :

بَكَوَتْ النَّاسَ مِنْ عَجْمٍ وَعُرْبٍ فَمَا أَحَدٌ يَسِيرُ كَمَا تَسِيرُ  
فَكُلُّ الْأَمْرِ مِنْ قَوْلٍ وَفِعْلٍ إِذَا عَلِقَتْ يَدَاكَ بِهِ صَغِيرُ  
وَفِي كَفِّكَ مَدْرَجَةُ الْمَنَايَا وَمِنْ جَذَوَاهُمَا الْغَيْثُ الْمَطِيرُ  
وأكثر من مديح الفضل بن يحيى ، حتى كاد ينقطع له ، ومن بارع مديحه فيه قوله مصوراً شجاعته وكرمه :

له يومان : يَوْمُ نَدَى وَبَأْسٍ كَأَنَّ الدَّهْرَ بَيْنَهُمَا أَسِيرُ  
وقوله :

أقام الندى والجود في كل منزلٍ أقام به الفضل بن يحيى بن خالدٍ

وكان يمدح أيضا الفضل بن الربيع وزير الرشيد . ويظهر أن الفضل البرمكي أكثر من برة ونواله عليه حتى حسده الشعراء وفي مقدمتهم صديقه أبو العتاهية ، مما جعل كلا منهما يلمز صاحبه بعض اللمز ، أما أبو العتاهية فوصفه بالحرص والشح في بيته الذي أنشدناه في الفصل السابق :

تعالى الله يا سلم بن عمرو أذلَّ الحرُّصُ أعناقَ الرجالِ  
وأما سلم فاتهمه بأنه كاذب منافق في زهده وتشفه ، وكان قد تحول إلى الزهد على نحو ما أسلفنا ، ومع ذلك كان لا يزال يمدح ويستجدي في ذلك يقول له سلم :

ما أقبحَ التَّزْهِيدَ منَ واعِظٍ يُزْهَدُ النَّاسَ ولا يَزْهَدُ  
لو كان في تزهيده صادقاً أضحى وأمسى بيته المسجد

وفي أخباره ما يدل على أنه كان يهاجى والبة بن الحباب ، غير أنه لم يكن يحسن الهجاء . ويظهر أنه كان يلم بشيء من اللهو والمجون في مطالع حياته ، غير أنه لم تتقدم به السن حتى التزم جانب الوقار . وشعره يؤكد أن المديح لم يترك فيه بقية لفن آخر سواه . ولم يكن شحيحاً كما وصفه أبو العتاهية ، بل كان كريماً سمحاً إذ يقول ابن المعتز إنه كان ينفق ما يأخذه من الأموال على إخوانه وغيرهم من أهل الأدب . وفي أخباره ما يدل على أنه كان يتأنق تأنقاً شديداً في ملبسه ومظهره وأنه كان يحيا حياة مترفة ناعمة . وأشعاره مليئة بالرشاقة والعدوبة والنعومة ، وله في الهادى مدحة اشتهرت في عصره وبعد عصره ، إذ بنى شطورها من تفعيلة واحدة على هذا النمط :

موسى المطرُ عدلُ السيرِ

وقد جعلها على قافية واحدة : وهي تفيض بالحفة والرشاقة ، ومن حكمه البديعة :

لا تَسْأَلِ المرءَ عن خِلائِقِهِ في وَجْهِهِ شاهدٌ عن الخَيْرِ  
وما زالت حياته تجرى رُخاءً حتى توفى سنة ١٨٦ للهجرة .

## شعراء الشيعة

كان استيلاء العباسيين على مقاليد الخلافة مفاجأة لكثير من العلويين وأنصارهم من فرق الشيعة ، وربما كانت الفرقة الوحيدة التي لم تجد في ذلك غضاضة هي فرقة الكيسانية من أصحاب أبي هاشم بن محمد بن الحنفية، فإنه تنازل لهم ، كما أسلفنا ، عن الخلافة ، ولعل ذلك ما جعل شعراءها ، من أمثال السيد الحميري ، يقفون في صفوف العباسيين مادحين مثنين . أما شعراء الفرق الأخرى فقد عمتهم الفرحة حين انتصرت الثورة العباسية ، ظانين أن العباسيين سيشركون أبناء عمهم العلويين في الحكم معهم ، حتى إذا انبلجت الحقيقة نفصوا أيديهم منهم ، وخاصة شعراء الزيدية . أما شعراء الإمامية فقد وجدوا أمامهم فسحة كبرى ينافقوا العباسيين ، وكفى يظهرها غير ما يبطنون ، لمبدأ التقية المشهور الذي كان يأخذ به الشيعة الإمامية جميعاً من اثني عشرية وإسماعيلية ، ومن ثم رأيناهم يمدحون خلفاء بني العباس ، يسترون بذلك حقائقهم ، على نحو ما هو معروف عن منصور التميمي . وخير من يمثل شعراء الزيدية في أوائل هذا العصر سُدَيْفٌ وهرون بن سعد العجلى . أما سديف فاشتهر بتحريضه السفاح لأول خلافته على الثار من بني أمية بمثل قوله (١) :

أصبح الملك ثابت الآساسِ      بالبهايل من بني العباسِ  
لا تُقيلنَّ عبدَ شمسٍ عِشاراً      واقطعنَّ كلَّ رَقْلَةٍ وغِراسِ (٢)  
ومضى يستثيره على الفتك بهم حتى      استشاط موجدة وحنقاً ، فدعاهم إلى  
مأدبة كبيرة ، حتى إذا قدموا وتهبوا للطعام وقف سديف ينشده (٣) :

لا يغرُنك ما ترى من رجالٍ      إن تحت الضلوع داءٌ ذويًا  
فضعِ السيفِ وارقعِ السوطِ حتى      لا ترى فوقَ ظهرها أمويًا

(٢) الرقلة : النخلة الطويلة تفوت اليد .  
(٣) ابن المعتز ص ٤٠ والأغانى ٤/٣٤٨ .

(١) ابن المعتز ص ٣٩ والأغانى ( طبع دار  
الكتب ) ٤/٣٤٥ .

ووضع أبو العباس السفاح السيف فيهم حتى أتى عليهم ، ويقال : بل سُدِّخُوا بالأعمدة . وصنع صنيعه بجمعهم في الشام والحجاز والبصرة أعمامه : عبد الله وداود وسليمان . وتوفى السفاح وخلفه المنصور فاستقر في نفوس زعماء العلويين أن الخلافة قد أفلتت من أيديهم وأن العباسيين لن يدعوا لهم منها شيئاً . وما توفى سنة ١٤٥ للهجرة حتى يثور بالمدينة محمد بن عبد الله بن الحسن الملقب بالنفس الزكية . وهي - كما أسلفنا في الفصل الأول - أول ثورة للزيدية ، ونرى سديفاً يقف مع أخيه إبراهيم بن عبد الله حين ثار بالبصرة ، ناظماً كثيراً من الأشعار ضد المنصور ، مما يؤكد أنه كان يعتنق مذهب الزيدية ، ومن قوله في بعض تلك الأشعار ، مخاطباً النفس الزكية (١) :

إنا لنأمل أن تتردَّ ألفتنا بعد التباعد والشحناء والإحْنِ  
وتنقضى دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدى وتَنـ  
فانهض ببيعتمك نهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني الحسنِ  
وطبيعي أن يذيقه المنصور وبال تحريضه على الثورة ، إذ يقال إنه أمر بدفنه حياً . ومن شعراء الزيدية وهذه الثورة هرون بن سعد العجلى ، وقد ولاه إبراهيم ابن عبد الله في أثنائها واسطاً ، وبمجرد قضاء المنصور عليها توفى وهو بهم بدخول البصرة (٢) ، وفي عيون الأخبار له قصيدة يرد فيها على غالبية الشيعة من الإمامية ردّاً عنيفاً ، ناقضاً ما زعمه رافضتهم من غلو في تصور جعفر الصادق لإمامهم ، حتى يجعله بعضهم إلهاً وبعضهم رسولا ، مع ما ينحلونه من علم الغيب وأنه دون كل ما يحتاج إليه من هذا العلم في جلد يسمونه جعفرراً ، يقول في تضاعيف قصيدته (٣) :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا فكلهم في جعفر قال مُنْكَرَا  
فطائفة قالوا إلهٌ ومنهم طوائف سمته النبي المطهراً  
فإن كان يرضى ما يقولون جعفرُ فأني إلى ربِّي أفرقُ جعفرَا

بعدها وص ٣٥٩ وما بعدها .  
(٣) عيون الأخبار ٢/٤٥٠ .

(١) مقاتل الطالبين (نشر عيسى الحلبي) ص ٤٧٦ والعمدة لابن رشيقي ١/٤٥٠ .  
(٢) انظر مقاتل الطالبين ص ٣٣١ وما

ومن عجبٍ لم أقضه جلدُ جفّهم برئتُ إلى الرحمن ممن تجفّراً  
وكانت البصرة بيئة هذه النحلة ، ولعل ذلك ما جعل بعض المعتزلة يعتقدونها ،  
من مثل بشر بن المعتز ، وربما كان أكبر دليل على زديته أننا نراه يهاجم غالبية  
الإمامية على نحو ما هاجمهم هرون بن سعد العجلي<sup>(١)</sup> . ومن شعراء الزيدية غالب  
ابن عثمان الهمداني ، وله مرث في النفس الزكية وأخيه إبراهيم تقطر أسى وحزناً  
عميقاً<sup>(٢)</sup> . وثار ، كما مر بنا في الفصل الأول ، لعهد الهادي الحسين بن علي  
الحسنى في مكة ونازله جيش عباسي في « فنج » فقتل هو وكثيرون من أهله وتركوا  
في العراء للسباع والعقبان ، مما جعل الشعراء من الزيدية يندبونهم آحرّ نذب  
وأشجاء<sup>(٣)</sup> . ويتحول نشاط هذه النحلة إلى خراسان والطاقان<sup>(٤)</sup> ، ويتكاثر الثائرون  
والمقتولون من أئمتها في تلك البلاد النائية . ومن أهم ثورات الزيدية ثورة<sup>(٥)</sup> ابن  
طباطبا بالكوفة لأول خلافة المأمون ، ويقضى عليها قضاء مبرماً وطبيعياً أن يكبر  
شعراء الزيدية من رثاء المقتولين في هذه الثورات والتفجع عليهم ، مما نقرؤه في  
كتاب مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصبهاني مفصلاً أوسع تفصيلاً .

ولم يكن الإمامية بفرقهم المختلفة يشهرون السيوف في وجوه بني العباس ، فقد  
جعلوا جميعاً الثقة مبدأ أساسياً في نحلهم المختلفة ، واتخذوا الدعوة السرية وسيلتهم  
في جمع الناس من حوطم بالكوفة ، واجتمع حوطم فعلا خلق كثير يبطنون غير  
ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون ، وكأنهم كانوا يؤمنون جميعاً بأن الثورة على  
العباسيين لم يحن موعدها . وقد تفرقوا شيعاً كثيرة ، ومرّ بنا في الفصل السابق أن  
لمعدان الأعمى قصيدة صنف فيها طوائف الإمامية الرافضة والغالية وطوائف الزيدية  
وعقائدهم جميعاً ، مقدماً عليها نحلة فرقته الشُحميَطية الغالية ، ونراه يوم زيد بن  
علي زين العابدين لعدم أخذه بمبدأ الثقة ، إذ سنّ لأصحابه من بعده إعلان ثورتهم  
وامتشافهم للحسام في وجه الحكام مما جعل الحلفاء العباسيين يواون فيهم قتلهم

(٤) الملل والنحل للشهرستاني (طبع لندن)

ص ١١٧ .

(٥) انظر في هذه الثورة وأنها زيدية مقاتل

الطالبين ص ١٨٥ وما بعدها .

(١) الحيوان ٦/٢٨٤ .

(٢) مقاتل الطالبين ص ٣٠٤ ، ٣٨٤ وما

بعدها .

(٣) نفس المصدر ص ٤٥٨ وما بعدها .

وسفك دمائهم ، يقول في قصيدته<sup>(١)</sup> :

سَنَ ظَلَمَ الإِمَامَ فِي القَوْمِ زَيْدٌ      إِنْ ظَلَمَ الإِمَامَ ذُو عُقَالِ<sup>(٢)</sup>  
 والمهم أن مبدأ التقيّة أتاح لكثيرين من شعراء الإمامية أن لا يجاهروا الناس  
 فضلاً عن الخلفاء بحقيقة نحلهم ، وقد مضى كثير منهم يعلنون موالاتهم لبني  
 العباس ، مادحين لهم ، بل إن منهم مَنْ سَخَّرَ شعره للدفاع عن حقهم في الخلافة  
 مبالغة في السّر والتقيّة على نحو ما سنرى عند منصور التمرى . وربما كان الشاعر  
 الإماميُّ الوحيد الذي جاهر بنحلته دعيلاً ، إن صح أنه كان متشيعاً حقاً فضلاً  
 عن إماميته . ومن شعرائهم القاسم بن يوسف أخو أحمد بن يوسف ، وقد مرّ بنا  
 في الفصل السابق أنه سَخَّرَ كثيراً من شعره في رثاء الحيوان والطير ، وقد عمل في  
 خلافة المأمون فكانت إليه جباية السواد ، ونرى الصولي يروي له في كتاب الأوراق  
 أشعاراً شيعية مختلفة في مديح بني هاشم وبيان فضائل علي بن أبي طالب وفي رثاء  
 الحسين ونذبه ندبا حاراً ، ملوحاً بيده في وجه أبي بكر وعمر وفي وجوه خصوم  
 الإمامية ، مشيراً إلى مهدّهم الذي سيأخذ بثأرهم ، يقول<sup>(٣)</sup> :

إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَنَالَهُمْ      مِنِّي يَدٌ تَشْفِي جَوَى الصَّدْرِ  
 بالقائم المهديّ إن عاجلاً      أَوْ آجِلاً إِنْ مُدَّ فِي عُمْرِي

ومثله محمد بن وهيب كان يفد على وزراء بني العباس وخلفائهم ، وهو غال  
 في تشيعه وإماميته ، ويروي الرواة ، أنه تردّد على مجالس تُذكّر فيها فضائل  
 أبي بكر وعمر وعثمان ، ولا يُذكّر فيها شيء من فضائل علي ، فتولّى حنقاً ،  
 وهو يقول<sup>(٤)</sup> :

أَعْدُو إِلَى عُصْبَةٍ صُمَّتْ مَسَامِعُهُمْ      عَنِ الْهُدَى بَيْنَ زَنْدِيقِي وَمَأْفُونِ  
 لا يذكرون علياً في مشاهدتهم      وَلَا بَنِيهِ بَنِي الْبَيْضِ الْمِيَامِينِ  
 لو يستطيعون من ذكرى أبا حَسَنِ      وَفَضْلِهِ قَطَعُونِي بِالسَّكَاكِينِ

(٣) كتاب الأوراق للصولي (أخبار الشعراء)

ص ١٨٢ .

(٤) أغاني (طبعة الساسي) ١٧/١٤٦ .

(١) مقاتل الطالبين ص ٤١٩ والبيان

والتبيين ٣/٣٥٧ .

(٢) عقال : من العقل وهو مغرم الجنائية .

ولستُ أتركُ تفضيلي له أبداً حتى الممات على رَغْمِ الملائمين  
 وكثُر في هذا العصر بين شعراء الشيعة الحديث عن علي بن أبي طالب  
 وفضائله ، ومرّ بنا في الفصل الرابع أن لبشر بن المعتمر مزدوجة صوراً فيها منزلته  
 وكيف أنه يرتفع فوق خصومه من الخوارج درجات . وينبغي أن نشير هنا إلى  
 ما كان من محاولة المأمون عقد البيعة من بعده لعلي الرضا الإمام السابع عند الشيعة  
 الإثني عشرية ، وأن أسرته ثارت عليه في بغداد ، وأن علياً الرضا توفّي سريعا ،  
 فانصرف عن فكرته ، وقد ظل يوالى العلويين على الرغم من قيامهم ببعض ثورات  
 في خلافته ، إذ نراه - كما أسلفنا في غير هذا الموضع - يكتب إلى الآفاق في  
 سنة ١١٢ للهجرة بتفضيل علي بن أبي طالب على جميع الصحابة ، مما جعل شعراء  
 الشيعة يطمثنون إليه ، ونفذ بعض الشعراء من غيرهم مثل أبي تمام إلى النظم في فضائل  
 علي لإرضاء للدولة . وأيضاً ينبغي أن نشير هنا إلى كثرة الانقسامات بين الشيعة  
 وما جرّ إليه ذلك من أشعار انتصر فيها الشعراء لما اعتنقوه من بعض المذاهب الشيعية  
 وفي كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي منشورات مختلفة من تلك الأشعار . وجديرٌ بنا  
 أن نعرض لأبرز شعراء الشيعة في العصر ، وهم السيد الحميري ومنصور النعمري  
 ودعبل وديك الجني .

### السيد (١) الحميري

هو إسماعيل بن محمد حفيد يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري الذي ترجمنا  
 له في الجزء الثاني من هذه السلسلة ، وقد تشككنا هناك في نسبه من حمير واستظهرنا  
 أنه يرجع إلى أصول إيرانية لما عُرِف عنه من إتقانه الفارسية . على أننا نجد السيد

ص ٢٨ والنجوم الزاهرة ٢/٢٩ ، ٦٨ ،  
 ٧٤ وفوات الوفيات في إسماعيل وفرغ  
 الشيعة للتونجتي (طبعة ريدر) ص ٢٦ ،  
 ومعرفة أخبار الرجال للكشي ١٨٤ وترجمة  
 جده يزيد بن مفرغ في الجزء الثاني من هذا  
 الكتاب وحديث الأربعا لطحسين ٢/٣٠٥ .

(١) انظر في ترجمة السيد الحميري وأشعاره  
 وأخباره ابن المعتز ص ٣٢ والأغانى (طبعة  
 دار الكتب) ٢٢٩/٧ وما بعدها والبيان والتبيين  
 ٣٦٠/٣ والحيران ٥/٣١٧ والفرق بين الفرق  
 للبغدادي ص ٣٠ والمثل والنحل للشهرستاني  
 (طبعة لندن) ص ١١١ وروضات الجنات

يفتخر بحميرته ، وكانت أمه من الأزديين ، ومن ثم يقول :

إلى امرؤٍ حميرىٍّ غيرٍ مؤتَشِبٍ جَدِّى رُعَيْنٌ وأخوالى ذَووِيزَنٍ (١)

وقد وُلد لأبويه في البصرة سنة ١٠٥ للهجرة ، وكانا من إباضية الخوارج ، فنشأ يسمع منهما سبَّ علي بن أبي طالب ، بل تكفيره وتكفير بعض الصحابة ، وعبثاً كان يراجعهما . ولم يابث أن أوغل في التشيع لعلى وآله ، ويظهر أنه وقع لبعض أصحاب مذهب الكيسانية القائلين بإمامة محمد بن الحنفية والمعتنقين لنظرية الغيبة والرجعة ، فإذا هو يصبح كيسانياً لحمياً وروحاً ، ولا ندري هل حدث له ذلك في البصرة أو حدث في الكوفة فقد أقام بها ردهاً من الزمن . وأياً كان فقد اعتنق المذهب مبكراً وأصبح شيعة لأصحابه منذ أواخر عصر بني أمية ، حتى إذا أظله العصر العباسي تمشت في نفسه الفرحة لانتصار الهاشمين وتقويض حكم الأمويين ، وأخذ يستبشر بقيام الدولة العباسية ، وكأنه رأى فيها انتصاراً لمذهبه الشيعي ، إذ كان أبو هاشم بن محمد بن الحنفية قد أوصى من بعده ، كما مرَّ بنا ، لمحمد بن علي العباسي ، وأوصى محمد للسفاح ومن ثمَّ كانت إمامته وخلافته هو ومن تلاه من العباسيين صحيحة في نظر الكيسانية أو على الأقل جمهورهم الذي كان يتبع فرقة أبي هاشم . وطبيعي لذلك أن نجد السيد الحميري الكيساني يهال لانتصار العباسيين حتى ليبادر أبا العباس السفاح حين خطب في الكوفة خطبته المشهورة التي أخذ على إثرها البيعة من الناس قائلاً :

دونكموها يا بني هاشمٍ فجددوا من عهدا الدارِسا

قد ساسها قبلكم ساسة لم يتركوا رطباً ولا يابساً

ولست من أن تملكوها إلى مهبط عيسى فيكم آيساً

وواضح أنه يهنته بالخلافة لامرأ الأمويين الذين ملأوا الأرض ظلماً وجوراً ، ويقول إنها لن تزال فيهم إلى هبوط عيسى بأخرة من الدنيا ، فهو لا يفكر في زوالها عنهم ، بل هو يراها لهم خالصة حتى تفتى الأرض ومن عليها ، وتوفى السفاح

ذو يزَن أحد أمراء اليمن الأقدمين .

(١) المؤتَشِب : غير الصريح في نسبه .  
ذورعين : من ملوك اليمن ، وذووزين : أبناء

وخلفه المنصور ، فأعقد عليه من صلاته السنّية وأعقد عليه السيد الحميري من مدحه بمثل قوله :

إن الإله الذي لاشيء يشبهه      أعطاكم الملكَ للدنيا وللدّينِ  
أعطاكم الله ملكاً لا زوال له      حتى يقاد إليكم صاحبُ الصينِ  
وصاحبُ الهند مأخوذاً برُمتهِ      وصاحبُ التُّرك مجبوساً على هُونِ

ومدح من بعده ابنه المهدي وظن طه حسين أن السيد الحميري كان في هذا المدح منافقاً ، فهو لا يستحلُّ أن يظهر غير ما يضمّر وأن يمدح بني العباس بلسانه ويلعنهم في قلبه ، فيظفر بمالم ويتق شرهم ، كان يستحلُّ ذلك كما كانت تستحلُّه عامة الشيعة الذين كانوا يقولون بمذهب التقيّة<sup>(١)</sup> . ولا تقيّة ولا نفاق ، وإنما شاعر كيسانى يمدح أوصياء عقيدته الكيسانية الذين أدالوا من بنى أمية وسلطانهم الجائر ، وهو بعد ذلك مخلص في كيسانيته إخلاصاً بعيداً حتى ليؤمن بأن محمد ابن الحنفية حتى وأنه راجع يوماً يقول :

حتى متى ؟ وإلى متى ؟ ومتى المدى ؟      يا بن الوصيِّ وأنت حتى تُرزقُ  
ويُروى أن شيطان الطاق محمد بن علي بن النعمان أحد متكلمي مذهب الشيعة الإمامية ناظره يوماً في عقيدته الكيسانية يريد أن يجذبه إلى عقيدته ، وغلبه في مناظرته ، غير أن السيد لم يلبث أن أنشأ قصيدة أدارها على أبيات كثيرٍ سلفه الكيسانى في العصر الأموي التي تجرى على هذا النمط :

ألا إن الأئمة من قريش      ولاة الحق أربعة سواء  
عليّ والثلاثة من بنيه      هم أشباطه والأوصياء  
فسيبُ سبُت إيمانٍ وحلم      وسبُتُ غيبته كربلاء  
وسبُتُ لا يذوق الموت حتى      يقود الخيلَ يقدّمها اللواء

والسبُت الأول الحسن والثاني الحسين المقتول بكر بلاء. والثالث إمامه محمد بن الحنفية ، وكثير يقول إنه لا يزال حياً لم يذق الموت وأنه سيعود في جيش لسبب

(١) حديث الأربعاء ٢/٣٠٧ .

وكان السيد الحميري في القرن الثاني لا يزال يؤمن مثله برجته . وزعم بعض الرواة أنه رجع بأخرة من حياته عن كبسانيته واعتنق مذهب الإمامية أصحاب جعفر الصادق ، وأجروا على لسانه :

تجعفرتُ باسمِ اللهِ واللهِ أكبرُ وأيقننتُ أن الله يعفو ويغفرُ  
غير أن أبا الفرج ردَّ ذلك قائلاً هو ورواته إنه ظل على كبسانيته حتى الأنفاس  
الأخيرة من حياته . ولعلنا لا نغلو إذا قلنا إنه كان أكثر شعراء القرن الثاني تمجيداً  
لعلى وبنيه ، فقد أنفق حياته في نظم أخبارهم ومناقبهم ، ويقول ابن المعتز إنه لم  
يترك فضيلة معروفة لعلى بن أبي طالب إلا نقلها إلى الشعر ، وقد كرَّر طويلاً  
ما تدعيه الشيعة من أن الرسول صلى الله عليه وسلم أوصى له بالخلافة من بعده عند  
غدير خم<sup>١</sup> بين مكة والمدينة ، وفيه يقول :

أقسم بالله وآلائه والمرءُ عما قال مسؤلُ  
إن على بن أبي طالبٍ على التقى والبرِّ مَجْبُولُ  
ولعل أطول قصائده الشيعية قصيدته التي تسمى المذبة ، وقد عني بها الشيعة  
وشرحوها مراراً ، وهو يستهلها بذكر الأمويين ومسير عائشة رضي الله عنها إلى البصرة  
مع طلحة والزبير ، يقول :

أين التطرُّفُ بالولاءِ وبالهوى إلى الكواذب من بروق الخُلبِ  
إلى أمية أم إلى الشَّيعِ التي جاءت على الجمل الخِذبِ الشُّوقِبِ<sup>(١)</sup>  
تَهْوِي من البلد الحرام فنبيَّتهم بعد الهدوُّ كلاب أهل الحَوَابِ  
وهو يشير إلى أن كلاباً نبحت أم المؤمنين عند بئر الحوَابِ ، وكان يفرط في  
سبِّها وسب طلحة والزبير وأبي بكر الصديق وعمر وكثير من الصحابة لا يترعوى  
ولا يزدجر ، وكان يستطيع أن يسجِّل لعلى ما شاء من فضائله ، دون أن يزوج  
بنفسه في هذه المضايق الوعرة غير مراعاة لجللة الصحابة وأمهات المؤمنين أي حرمة ،  
ولبئس ما قال في عائشة وصاحبها :

(١) الخِذب ؛ البئر الضخم . الشوقب :  
الطويل .

جاءت مع الأشقيين في هودج تَزجى إلى البصرة أجنادها  
كانها في فعلها هرة تريد أن تأكل أولادها

ويروى أن المهدي جلس يوماً يعطى قريشاً صلواتها وهو ولي عهد ، فبدأ  
بيني هاشم ثم سائر قريش ، ولم يلبث السيد أن وفد عليه بقصيدة يذم فيها عشرين  
عمر وأبي بكر الصديق وينهاه أن يعطى أحداً منهما صلته ، ولبأه المهدي. وقد  
روى أبو الفرج قطعة منها ، وقال إنه حذف باقيا لقبح ما جاء فيها من السب  
والشتم .

ولعل في ذلك ما يدل على أن السيد الحميري كان غالباً في تشيعه غلوّاً قبيحاً ،  
ولو أنه لم يشب مديحه لعلى وبنيه بهذا السب المنكر لتداول شعره الرواة ، إذ كان  
شاعراً بارعاً ، ومن مستحسن شعره فيهم قوله ناظماً ما روى من أن الحسن  
والحسين، أتيا الرسول فوجداه ساجداً فركبا على ظهره ، فقال عمر : نعم المطي  
مطيكما :

أتى حسناً والحسينَ الرسولُ وقد برزا ضحوةً يلعبانِ  
فضمَّهما ثم فداهما وكانا لديه بذاك المكانِ  
وراحا وتحتهما عاتقاه فنعم المطية والراكبانِ

وكان يكثر من رثاء الحسين رثاء يستترف الدمع ويذيب القلب حشرات ،  
ويقال إنه استأذن يوماً على جعفر الصادق فأذن له وأقعده حرمته خلف ستر ،  
فدخل ، فأنشده قوله :

امرؤ على جدتِ الحسِّ بين فقل لأعظمه الزكية  
أعظماً لا زلت من وطفاء ساكية روية<sup>(١)</sup>  
وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطية  
وابك المطهر للمطهر والمطهرة النقية

(١) الوظفاء : السحابة المحملة بالأمطار الغريزة .

## كُبْكَاءِ مُعْوَلَةٍ أَنْتَ يَوْمًا لَوَاحِدَهَا الْمَنِيَّةَ

فسالت دموع جعفر على خديه مدراراً وارتفع الشئخ والصراخ في داره فأمره بالإمساك فأمسك .

وللسيد وراء تشيعه ومدائحہ للعباسيين مدائح في بعض ولاية البصرة والأهواز ، وله أهاج في المرجئة وفي عبد الله بن سوار قاضي البصرة الذي رَدَّ شهادته لقتله في الصحابة ، وقد شكاه للمنصور فانتصف له منه . ويقال إنه كان يعكف على الخمر ، وليس له فيها أشعار مذكورة . وفي الحق أنه عاش للتشيع ينفق فيه أيامه وقصيده ، وكان يعرف كيف يوازن بين جزائمه وعذوبته ، مع الرونق والحلاوة ، ولعل ذلك ما جعله يتحامي فيه الغريب واللفظ الآبد ، حتى يلدِّ الأسماع والأفئدة وحتى يسير على الشفاه والأسنة . وما زال هذا دأبه حتى توفي سنة ١٧٣ للهجرة .

### منصور<sup>(١)</sup> النَّمْرِي

هو منصور بن الزبرقان بن سلمة<sup>(٢)</sup> من قبيلة النَّمْر بن قاسط من أهل الجزيرة وهو تلميذ العتابي المتكلم وراويته وعنه أخذ ومن بحره استقى وتشبَّه كما يقول أبو الفرج ، ويقال إنه وصَّفه للفضل بن يحيى بن خالد البرمكي ونوّه به وقرَّظه ، فاستقدمه من الجزيرة ، فأنشده بعض مدائحہ فيه ، وحظيَّ عنده ، ولم يلبث أن وصله بالرشيد ، ووقع من نفسه خير موقع ، إذ مضى يمدحه على طريقة مروان بن أبي حفصة بينقئ الإمامة عن أبناء علي بن أبي طالب وبيان أنها حق خالص للعباسيين ، وأنهم لا يزالون يطوّقون رقابهم بالمن ، وهم يجحدونها ، فيثورون ، وكثيراً ما يتلقون ثوراتهم بالعفو عنهم على نحو ما صنع الرشيد بيحيى بن عبد الله ، فإنه اكتفى بسجنه ، ولم يقتله ، وفي ذلك يقول :

بني حَسَنٍ وَقُلُّ لبني حُسَيْنٍ  
عليكم بالسداد من الأمور

المرتضى (طبعة الحلبي) ٢٧٤/٢ وما بعدها  
وزهر الآداب ٦٨/٣ .

(٢) في بعض المصادر منصور بن سلمة بن الزبرقان .

(١) انظر في أخبار النمرى وأشعاره ابن المعتز  
ص ٢٤٢ وابن قتيبة ٨٣٥ والأغانى (طبعة  
دار الكتب) ١٣/١٤٠ وقار يخ بغداد ١٣/٦٥  
والبدابة والنهاية لابن كثير ١٠/٢١٢ وأمال

أَمْ يَطُوا عَنْكُمْ كَذِبَ الْأَمَانِي وَأَحْلَامًا يَعِدْنَ عِدَاتِ زُورٍ  
 مَنْتَ عَلَى ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَحْيَى وَكَانَ مِنَ الْحَتُوفِ عَلَى شَفِيرِ  
 يَدُكَ فِي رِقَابِ بَنِي عَلِيٍّ وَمَنْ لَيْسَ بِالْمَنْ الصَّغِيرِ  
 وَإِنَّكَ حِينَ تُبَلِّغُهُمْ أَذَاةً - وَإِنْ ظَلَمُوا - لِمَحْزُونُ الضَّمِيرِ  
 فَإِنْ شَكَرُوا فَقَدْ أَنْعَمْتَ فِيهِمْ وَإِلَّا فَالْتَدَامَةَ لِلْكَفُورِ  
 وَإِنْ قَالُوا بَنُو بَنْتِ فَحَقُّ وَرُدُّوْا مَا يَنَاسِبُ لِلذَّكُورِ  
 وَمَا لِبَنِي بَنَاتٍ مِنْ تَرَاثٍ مَعَ الْأَعْمَامِ فِي وَرَقِ الزُّبُورِ  
 وَيُقَالُ إِنَّهُ اسْتَخَفَّ الرَّشِيدَ حِينَ أَنْشَدَهُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ، فَإِذَا هُوَ بِأَمْرِ الْفَضْلِ  
 ابْنِ الرَّبِيعِ أَنْ يَدْخُلَهُ بَيْتَ الْمَالِ وَيَدْعُهُ بِأَخْذِ مَا يَشَاءُ ، فَأَخَذَ سَبْعًا وَعِشْرِينَ بَدْرَةً .  
 وَمِنْ رَوَائِعِ قِصَائِهِ فِيهِ قِصِيدَتُهُ الْعَيْنِيَّةُ ، وَيَقُولُ ابْنُ الْمُعْتَزِ إِنَّهُ أَقَامَ الْقِيَامَةَ بِحَدِيثِهِ  
 فِي مَطْلَعِهَا عَنِ الشَّبَابِ إِذْ يَقُولُ :

مَا تَنْقُضِي حَسْرَةً مِنِّي وَلَا جَزَعُ إِذَا ذَكَرْتُ شَبَابًا لَيْسَ يُرْتَجَعُ  
 بَانَ الشَّبَابُ وَفَاتَنِي بِلَذَّتِهِ صُرُوفُ دَهْرٍ وَأَيَّامٍ لَهَا خُدَعُ  
 مَا كُنْتُ أَوْفَى شَبَابِي كُنْهَ غِرَّتِهِ حَتَّى انْقَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ  
 إِنْ كُنْتُ لَمْ تَطْعَمِي تُكَلِّ الشَّبَابَ وَلَمْ تَشْجِيْ بِغَضَبِهِ فَالْعَذْرُ لَا يَقَعُ  
 وَيُقَالُ إِنَّ الرَّشِيدَ حِينَ سَمِعَ مِنْ هَذَا الْمَطْلَعِ قَالَ لَهُ : أَحْسَنْتَ وَاللَّهِ ، لَا يَتَهَنَأُ  
 أَحَدٌ بَعِيْشَ حَتَّى يَخْطُرَ فِي رِءَاءِ الشَّبَابِ ، وَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ مَلُوحًا فِي وَجْهِ الْعُلُوِّينِ  
 بِمِثْلِ قَوْلِهِ :

يَا ابْنَ الْأَعْمَةِ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ وَيَا أَبَا وَمَا لَأَلِّ عَلَى فِي إِمَارَتِكُمْ  
 نَ الْأَوْصِيَاءَ أَقْرَ النَّاسِ أَوْ دَفَعُوا قَوْلَ النَّصِيحِ فَإِنَّ الْحَقَّ يُسْتَمَعُ  
 وَهُوَ يَشِيرُ إِلَى أَنَّ الْعَبَّاسَ عَمَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْجِبُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي  
 طَالِبِ ابْنَ أَخِيهِ كَمَا تَقْضَى بِذَلِكَ فَرِيضَةُ الْإِرْثِ فِي الْإِسْلَامِ . وَكَانَ لَا يَزَالُ يَحْبِطُ

هرون بهالة من القسمة حتى ليرفعه على آل الرسول جميعاً ، وحتى ليجعل من  
يشتمل عليه سخطه لا يتفع بدينه ولا بصلواته ، يقول في القصيدة السالفة :

أى امرى بات من هرون فى سخطِ فليس بالصلوات الخمس ينتفعُ  
ويقول فى قصيدة ثانية :

يا خير ماضٍ وخير باقى بعد النبیین فى الأنامِ  
ومن قصيدة له تالفة :

آل الرسول خيارُ الناس كلهمِ وخيرُ آلِ رسولِ الله هرونُ

ولم يكن منصور فى كل هذه الأشعار مخلصاً ، بل كان يظهر غير ما يضمّر ،  
إذ كان شيعياً إمامياً ، وكأنه كان يتخذ تلك الأشعار متجراً ، ليعيش آمناً ،  
ولينال ما يريد من طيبات الحياة ومتاعها معتمداً على ما يؤمن به الإمامية من التقية .  
وقد زعم المرتضى فى أماليه أنه « كان ينافق الرشيد ويذكر هرون فى شعره ويريه  
أنه من وجوه شيعته وباطنه ومراده بذلك أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه  
السلام لقول النبي ، صلى الله عليه وآله ، له : أنت منى بمنزلة هرون من موسى »  
ونراه يكثر من مدح آل الرسول والتنديد بالأمويين والعباسيين ، ومن خير ما يصور  
ذلك لاميته وفيها يقول :

شاء من الناس راعٍ هاملٍ	يعللون النفوس بالباطل <sup>(١)</sup>
تقتل ذرية النبي وير	جون جنان الخلود للقاتل
ويلك ياقاتل الحسين لقد	بوت بحمل يتوء بالحامل
ما الشك عندي فى كفر قاتله	لكننى قد أشك فى الخاذل
وعاذل أننى أحب بنى	أحمد فالترب فى فم العاذل
قد دنت ما دينكم عليه فما	وصلت من دينكم إلى طائل
دينكم جفوة النبي وما ال	جاني لآل النبي كالواصل

(١) عامل : المتركة ليلا ونهاراً .

وقد مضى في القصيدة ينكر موقف أبي بكر وعمر من دعوى فاطمة إرثه فذلك زاعماً أنهما ظلماها ، ومطالباً بمن يثار لها من ظلمتها ، يقول :

مظلومةٌ والنبيُّ والدها تدير أرجاء مُقلِّةٍ حافلٍ  
ألا مَسَاعِيرُ يغضبون لها بِسَلَّةِ البَيْضِ والقَنَا الذابِلِ<sup>(١)</sup>

وكانت قد حدثت جفوة بينه وبين أستاذه العتابي ، فأسخط الرشيد عليه ، غير أنه عاد فعفا عنه وأوسع له في مجالسه ، واتهم العتابي منه يوماً فرصة ، فذكر له حقيقة النمري وأنه شيعي غال في تشيعه ، وأنشده اللامية الآتفة وأشعاراً أخرى من مثل قوله :

أَلِ الرسولِ ومن يحِبُّهمُ يتطامنون مخافة القَتْلِ  
أَمِنَ النصارى واليهودُ وهم من أُمَّةِ التوحيدِ في أزلٍ<sup>(٢)</sup>

فاستشاط الرشيد غضباً ، وبعث إلى الرقة ، وكان مقيماً بها ، من يقتله ، غير أن رسوله وجد جنازته تستقبله ، فانكفاً راجعاً إلى الرشيد ، فأعلمه خبره .

ومن ملحمهم وأشاد بهم يزيد بن مزيّد الشيباني ، وكان من مُدَّاحِ الفضل ابن يحيى البرمكي كما مرّ بنا ، وقد بكاه حين نكبه الرشيد هو وأباه وأخاه جعفرأ لسنة ١٨٧ ، وفي ذلك ما يدل على أن وفاته كانت بعد نكبتهم . وواضح مما أنشدناه من أشعاره أنه كان يعنى عناية شديدة بانتخاب ألفاظه وانتقاء معانيه ، وكان ما يزال يجهد فكره وخياله حتى يأتي بالطرائف النادرة من مثل قوله :

ولقد تببت أناملِي بيجنين رُمانَ النُحورِ

ومن المحقق أنه لم يكن يتعلق بلهو ولا مجون ولا خمر شأن كثير من معاصره ، وأنه كان يكتبني من ملامه عصره بالسماع إلى الغناء واجداً فيه ما يبتغى من لذة ومتاع .

(٢) أزل : ضيق وشدة .

(١) مساعير : جمع مسمار ، وهو وقد الحرب البيض : السيوف . الذابيل : الرقيق الحاد .

دعبل<sup>(١)</sup>

هو دعبل بن علي بن رزين ، وقيل دعبل لقبه ، واختلفوا في اسمه هل هو محمد أو الحسن أو عبد الرحمن ، وهو من خزاعة صليبة لاولاء<sup>(٢)</sup> ، ومن بيت شعر ، فقد كان أبوه شاعراً متوسطاً ، وكذلك عمه عبد الله وأخواه علي ورزين وولداه الحسين وعلي وابن عمه محمد بن عبد الله المشهور باسم أبي الشيص . وقد وُلد دعبل بالكوفة سنة ١٤٨ للهجرة ويظهر أنه اختلف مبكراً إلى حلقات الدرس . على أننا نجده في شبابه يصحب الشُّطَّارَ ويشترك معهم في مغامراتهم ، مما يؤكد أنه كان فيه نزعة متأصلة إلى الشر وارتكاب الجنايات ، وقد دفعته فيما بعد إلى أن يصبح أكبر هجاء في عصره ، وأن يعمَّ بهجائه الخلفاء وكل من قدّموا له صنيعاً . ويظهر أن مواهبه الشعرية تفتحت مبكرة ، ففضى يختلط بالشعراء ، وانهقدت بيته وبين مواطنه مسلم بن الوليد مودة كان لها أثر عميق في شعره إذ عنى فيه على شاكلة مسلم بالبديع وبالجزالة ونصاعة القول ، ويرمز الرواة لذلك بأن مسلماً صنع قوله :

مستعبرٌ يبكى على دِمْنَةٍ ورأسه يضحك فيه المَشِيبُ

فما زال دعبل يدير البيت في نفسه ، محاولاً أن يبني على معناه قطعة في الغزل حتى صنع قطعه التي فتحت له باب الشهرة على مصاريعه ، إذ قال في بكاء الشباب ووقوعه في شباك الهوى :

أين الشبابُ؟ وأيّ سَلْكا؟ لا، أين يُطَلَّبُ؟ ضَلَّ بلْ هَلْكا

الزاهرة ٢/٣٢٢ . وجمع شعره ونشره كل من محمد يوسف نجم بسيروت وعبد الصاحب اللجيلي في النجف بالعراق وعبد الكريم الأشتر في دمشق .

(٢) ممن زعموا أنه خزاعي ولاء عبد الله بن طاهر (انظر ترجمته في الأغاني) . وراجع ابن خلكان ولسان الميزان وابن كثير في البداية والنهاية ١٠/٣٤٨ .

(١) انظر في دعبل وأخباره وأشعاره ابن المعتز ص ٢٦٤ وابن قتيبة ص ٨٢٥ والأغاني (طبعة الساسي) ٢٩/١٨ وتاريخ بغداد ٨/٣٨٢ والمؤرخ ص ٢٩٩ وابن خلكان ١/١٧٨ ومعجم الأدباء ١١/٩٩ وتهذيب تاريخ ابن عساکر ٥/٢٢٧ وشذرات الذهب ٢/١١١ ومعرفة أخبار الرجال للكثيري ٣١٣ وأخبار الرجال للنجاشي ١١٦ ومراة الجنان للياقبي ٢/١٤٥ ولسان الميزان ٢/٤٣٠ ولسان

لا تعجبي يا سَلَمَ من رَجُلٍ ضحك المشيبُ برأسه فبكى  
 باليت شعري كيف نوَمَكما يا صاحبي إذا دى سُفِكَا  
 لا تأخذنا بظلامتي أحداً قلبي وطرفي في دى اشتركا

وغنى بالأبيات بعض المغنين بين يدي الرشيد ، فطرب ، وسأل عن ناظمها ،  
 فقيل له دعبل ، فأمر بإحضاره وأرسل إليه بعشرة آلاف درهم وخلعة من الثياب ،  
 وسار دعبل إليه ، وأنشده بعض شعره فاستحسنه وأجرى عليه رزقاً سنياً ،  
 ولم يلبث أن ارتحل إلى خراسان واليها العباس بن جعفر الخزاعي ( ١٧٣ -  
 ١٧٥ هـ ) فأكرمه وولاه على سَمِينْجان إحدى بلاد طَبَرِسْتان . وعاد إلى بغداد  
 ونزل الكرخ حيث اللهور والقصف ، منشداً مثل قوله :

إنما العيشُ خلالُ خمسةُ حَبِذاً تلكَ خلالاً حَبِذاً  
 خدمةُ الضيفِ وكأسُ لَذَّةٍ وندِيمٌ وفتاةٌ وغيَا  
 وتؤثّرُ له في الخمرِ بعضُ الأشعارِ ، وله بجانبها غزليات قليلة ، وهو يُعنى  
 فيها ببعض فنون البديع على شاكلة قوله مطابقاً :

دموعٌ عيني لها انبساطٌ ونومٌ عيني به انقباضُ  
 وليس في ديوانه مديح للرشيد ولا للبرامكة مما يدل على أنه ظل بعيداً عن القصر  
 وأهله ووزرائه ، وحقاً تُروى له بعض أبيات في البرامكة حين نكبهم الرشيد ،  
 ولكنها لا تدخل في باب الرثاء إنما تدخل في باب العظة والاعتبار . وقد ظل لا يلم  
 بالقصر في عصر الأمين ، ونراه يخرج إلى الحج في سنة ١٩٨ للهجرة ، ولا يعود  
 إلى بغداد ، بل يرتحل إلى مصر واليها المطلب بن عبد الله الخزاعي ( ١٩٨ -  
 ٢٠٠ هـ ) وفيه يقول :

زمني بمطْلِبٍ سُقِيتَ زماناً ما كنت إلا روضةً وجنانا  
 كلُّ الندى إلا نذاك تكلفٌ لم أرض غيرك كائناً من كانا  
 أصلحتني بالبير بل أفسدتنى وتركتني أتسخط الإحسانا  
 ولم يكتف المطلب بما أغدق عليه من البير والنوال ، فقد ولاه على أسوان ،

وسرعان ما شعر في هذا البلد البعيد عن بغداد بوحشة شديدة، وعبث حنينه إليها بقلبه ، فإذا هو ينظم أبياته المشهورة في الحنين إلى الوطن وقد أنشدها في الفصل الرابع .

ولم تلبث الأمور أن فسدت بينه وبين المطلب ، فإذا هو يهجو هجاء مقذعاً ، كافرأً يده عنده ، وكان قد ولي الموصل قبل ولايته على مصر ، فقال في بعض هجائه له :

تعلّق مصرُ بك المخزياتِ وتبصقُ في وجهك الموصِلُ  
وأخذ يكثر من هجائه ، مولياً وجهه نحو بغداد ، وتبعه المطلب معزولاً عن مصر ، وتلطّف له فكفّ لسانه عنه .

وأناه نبأ عهد المأمون لعلي الرضا بالخلافة من بعده لسنة ٢٠١ وكان المأمون لا يزال بخراسان فارتحل إليهما ولم يكدهم يمثّل بين أيديهما حتى أنشد تائيته المشهورة .

مدارسُ آياتٍ خلّتْ من تلاوةٍ ومنزلٍ وخبى مقفرُ العرصاتِ  
وقد صور فيها ما نزل بالعلويين من كوارث في « كربلاء » و « فح » نائحاً على قتلاهم وخاصة الحسين نواحاً مؤثراً ويفيض في حرمانهم من الاستمتاع بحقهم في الخلافة آملاً في خروج مهديهم المنتظر الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن مكّنت ظلماً وجوراً ، وفيها يقول :

أحبّاي ما عاشوا وأهلُ ثقاتي	ملامك في آلِ النبيّ فإنهم
وزدّ حبّهم ياربُّ في حسناتي	فياربُّ زدني من يقيني بصيرةً
أروح وأغدو دائمَ الحسراتِ	ألم تر أني من ثلاثين حجةً
وأيديهم من قيئهم صفيرات <sup>(١)</sup>	أرى فيئهم في غيرهم متقسماً
تقطعُ قلبي إثرهم حسراتِ	ولولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ
يقوم على اسمِ الله والبركاتِ	خروجُ إمامٍ لا محالةً خارجُ

على شؤون المال . صفرات : خالية .

(١) الزم : المراج وبنام الحرب ، يريد أن العلويين سلبوا حقهم في سيادة الدولة والقيام

يَمِيزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ وَيَجْزِي عَلَى التَّعْمَاءِ وَالتَّقَمَاتِ

وأعجب بالقصيدة المأمون وعلى الرضا ، فأعطاه أولهما عشرة آلاف درهم من دراهم كان قد ضربها باسم الرضا ، أما الرضا فخلع عليه حُلَّةً من ثيابه ، ويقال إن أهل مدينة « قُم » الشيعة اشتروا منه الحلة بثلاثين ألف درهم ، كما اشتروا الدراهم المضروبة باسم الرضا ، كل درهم بعشرة . ويقول ابن المعتز إن أهل هذه المدينة قسَّطُوا له كل سنة خمسين ألف درهم . وتطورت الظروف سريعاً فتوفى على الرضا بطوس سنة ٢٠٣ وهو في طريقه مع المأمون إلى بغداد ، ودفن بها ، بجانب قبر هرون الرشيد ، ولم يكده النعي يبلغ دعبلا ، حتى قال :

قبران في طوس خير الناس كلَّهم - وقبرُ شرَّهم هذا من العبيرِ  
ما ينفع الرُّجس من قُرب الزكِيِّ ولا على الزكِيِّ بقرب الرُّجس من ضرر

ولم يكن الرشيد رجساً كما يقول ، فقد كان طهراً ، إذ كان يحج سنة ويغزو سنة على نحو ما هو معروف في تاريخه ، وقد أنزل بالروم هزائم ساحقة ، وليس ذلك فحسب ، فإن له بدأ على دعبل إذ استقدمه من موطنه وفرض له راتباً سنياً كما مرَّ بنا ، ولكن كأنما ينطوى دعبل على جحود غريب ، حتى ليطعن كل من قدم له صنيعاً . وله شعر شيعي كثير ، وقد أكثر فيه من الحديث عن فضائل علي بن أبي طالب ، كما أكثر فيه من بكاء الحسين وراثته بمثل قوله :

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيه يالرجال على قنائة يُرْفَعُ  
والمسلمون بمنظره وبمسمع لا جازع من ذا ولا متخشع

وهو يبدو في شعره الشيعي إمامياً وقد تشكك أبو العلاء في تشيعه ، فقال إنه لم يكن صادقاً فيه وإنه إنما كان يريد التكسب به<sup>(١)</sup> ، ولعله محق في تشككه ، لأن مثل دعبل المنطوي على كره الناس لا يمكن أن يحصل لآل البيت ، إلا أن يكون وراء ذلك باعث يدفعه لأن يقول ما لا يعتقد ، وكأن أموال «قم» هي التي دفعته لما كان ينظم من أشعار شيعية ، كما دفعته إلى هجاء الرشيد وغيره من الخلفاء ،

(١) رسالة الغفران (طبعة أمين هندية) ص ١٣٤ .

ويقال إن المأمون كان إذا سمع هجاءه فيه أو في بعض وزرائه ضحك ، وكان ذلك يدفعه إلى التهادي حتى ليقول له مهدداً وكأنه يهدده بلسان أهل قم :

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقعد  
وهو يشير إلى أن طاهر بن الحسين قائد المأمون وقاتل أخيه الأمين من موالى قبيلته خزاعة . على أن هذا الولاء لطاهر لم ينفعه عنده ، فقد رماه بسهم لاذع من سهام هجائه التي كان ما ينبي يرسلها على جميع من حوله ، وكان طاهر أعور ، ويلقب بذي اليمينين ، فقال :

وذي يمينين وعينٍ واحدةٍ نقصان عينٍ ويمين زائده  
وولى وجهه نحو صديقه القديم مسلم بن الوليد ، وكان الحسن بن سهل ولاه بريد جرجان ، فجفاه ولم يلقه ، وأثر ذلك في نفس دعبل ، غير أنه لم يعمد إلى هجائه ، خوفاً من لسانه ، وقد مر بنا كيف كان مسلم يقذع في هجائه وكيف كان يريشه سهاماً مصمية ، وكأنما خشى دعبل معرفة هجائه إن هو عرض له بالهجاء ، فعاتبه عتاباً رقيقاً بأبياته المعروفة :

أبا مَخْلَدٍ كُنَّا عَقِيدِي مَوَدَّةٍ هوانا وقلباننا جميعاً معاً معا  
غَشَّشْتَ الْهَوَى حَتَّى تَدَاعَتْ أَصُولُهُ بِنَا وابتذلت الوصل حتى نَقَطْنَا  
فَلَا تَعْذُلْنِي لَيْسَ لِي فِيكَ مَطْمَعٌ تَخَرَّقَتْ حَتَّى لَمْ أَجِدْ لَكَ مَرْقَعاً  
فَهَبْكَ يَمِينِي اسْتَأْكَلْتُ فَقَطَعْتُهَا وَجَشَّمْتُ قَلْبِي صَبْرَةً فَتَشَجَّعَا

ويقال إنه قصد عبد الله بن طاهر في ولايته لخراسان ( ٢١٤ - ٢٣٠ هـ ) فكان يصله في الشهر بمائة وخمسين ألف درهم ، ومع ذلك لم يسلم من لسانه . ولعله لم يتعرض لخليفة بالهجاء كما تعرض للمعتصم ، فقد صبَّ عليه سُؤاظاً ملتهباً من أهاجيه كقوله :

ملوكُ بنى العباس في الكُتُبِ سَبْعَةٌ ولم تأتنا عن ثامنٍ لهم الكُتُبُ  
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعةٌ كرامٌ إذا عُدُّوا وثامنهم كذبٌ

وظل يرميه بسهام هجائه حتى توفي ، وخلفه ابنه الواثق ، فأسرع يطلق لسانه فيه ، جامعاً في هجائه بينه وبين أبيه بمثل قوله :

خليفة مات لم يحزن له أحدٌ وأخراً قام لم يفرح به أحدٌ

وروى الرواة له في المتوكل بيتاً مقذعاً واحداً ، وفيه يهجو باستيلاء مواليه من الجند الأتراك على الحكم حتى أصبح كأنه لعبة في أيديهم ، بل أصبح لم عبداً ، يقول :

ولستُ بقائلٍ قذعاً ولكن لأمرٍ ما تعبدك العبيدُ

ولم يقف عند هجاء الأفراد ، فقد استعاد هجاء العصبية القديم ، وكانت قصيدة الكميث الشيعي في هجاء أصوله القحطانيين تؤذيه فعمد إلى نقضها بقصيدة فونية أودعها مثالب القبائل العدنانية . ولو أنه كان مخلصاً في تشييعه حقاً لأعانتى صلة التشيع بينه وبين الكميث على العصبية القبلية ، وخاصة أن الكميث كان قد مات منذ زمن بعيد . وأثار ذلك أبو سعد الخزومي فاندلعت بينهما معركة هجاء عنيفة . والحق أن الهجاء كان طبعاً ركّب في نفسه حتى لئراه يهجو بجانب كل من أسدى إليه صنيعه زوجته وأخاه رزينا وأهل مدينة «قم» بل الناس جميعاً ، يقول :

ما أكثر الناس ، لا ، بل ما أقلهمُ والله يعلم أني لم أقل فنّداً  
إني لأفتحُ عيني حين أفتحها على كثيرٍ ولكن لا أرى أحداً

ومن هجاهم فأقذع في هجائه مالك بن طوق التغلبي ممدوح أبي تمام ، ويقال إنه وجد عليه موجدة شديدة جعلته يرسل له من اغتاله في بعض قرى الأهواز . واختلف الرواة في سنة وفاته ، فمنهم من جعلها في عهد المعتصم ومنهم من تأخر بها إلى سنة ٢٤٦ للهجرة . وأكبر الظن أنه لم يتأخر إلى هذا التاريخ وأنه توفي لأوائل عهد المتوكل عقب هدمه لقبور الحسين والعلويين سنة ٢٣٥ .

ولعل في كل ما قدمنا ما يصور شاعريته ، فقد كان شديد العناية بصياغته وكان لا يزال يغوص على المعاني الدقيقة ، ومن حين إلى حين يوشى شعره بزخرف البديع ، وله أبيات كثيرة دارت على الألسنة من مثل قوله :

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ  
وهو أحد مَنْ برعوا لعصره في علم الشعر ونقده ، مما جعله يؤلف في أخبار  
الشعراء كتاباً نفيساً طالما استقى منه القدماء في كتاباتهم .

### ديك (١) الجن

هو عبد السلام بن رَغْبَان ، اشتهر بلقبه ديك الجن ، وهو من سلالة شخص  
يسمى تيميا من أهل مُؤْتَمَةَ بالشام أنعم الله عليه بالإسلام على يد مولاة حبيب بن  
مسلمة الفهري صاحب معاوية . ويقول الجهمي إن جَدَّ ديك الجن حبيب  
ابن عبد الله كان يتقلد ديوان الحطاء لأبي جعفر المنصور . ووُلد ديك الجن  
لأبيه بحمص سنة ١٦١ للهجرة ، ويقول أبو الفرج « إنه لم يَبْرَحْ نَوَاحِيَ الشَّامِ  
وَلَا وَقَدَّ إِلَى الْعِرَاقِ وَلَا إِلَى غَيْرِهِ مُتَجِعاً بِشَعْرِهِ وَلَا مُتَصِدياً لِأَحَدٍ ، وَكَانَ يَتَشَبَّحُ  
تَشَبُّحاً حَسَنًا ، وَلَهُ مِرَاثٌ كَثِيرَةٌ فِي الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ مِنْهَا قَصِيدَتُهُ :

يَا عَيْنُ لَا لِلْغَضَا وَلَا الْكُشْبِ بِكَا الرِّزَايَا سَوَى بُكََا الطَّرْبِ

وهي مشهورة عند الخاص والعام ويُنَاحَ بِهَا ، وَلَهُ عِدَّةُ أَشْعَارٍ فِي هَذَا الْمَعْنَى .  
ويقول أبو الفرج أيضاً إنه كان يكثر المقام عند أحمد بن علي الهاشمي وأخيه  
جعفر في سَلَمِيَّةَ ( مِنْ أَعْمَالِ حَمَصِ ) وَكَانَ يَمْدَحُهُمَا كَثِيراً ، وَقَدْ بَرَّحَ بِهِ  
الْحَزْنَ حِينَ تَوَفَّى أَحْمَدَ وَأَبْنَهُ فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ مَعْرُوبًا بِهَا أَخَاهُ جَعْفَرًا ، وَقِيلَ بِلِ مَعْرُوبًا  
لَهُ عَنِ زَوْجَتِهِ ، وَهِيَ تَصُورُ غُلُوهُ فِي التَّشْبِيحِ إِذْ نَرَاهُ يَتَمَثَّلُهُ وَكَأَنَّهُ إِمَامٌ كَبِيرٌ مِنْ أُمَّةِ  
الشَّيْعَةِ ، وَمِنْ تَمِّمٍ يَخْلَعُ عَلَيْهِ بَعْضُ صِفَاتِهِمْ الْقُدْسِيَّةِ فِي رَأْيِ شَيْعَتِهِمْ مِنْ مِثْلِ قَوْلِهِ :

نَحْنُ نَعْرِيزُكَ وَمِنْكَ الْهُدَى

مُسْتَخْرَجٌ وَالنُّورُ مُسْتَقْبَلٌ

نَقُولُ بِالْعَقْلِ وَأَنْتَ الَّذِي

نَأْوِي إِلَيْهِ وَبِهِ نَعْقِلُ

أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري بدار الثقافة ببيروت ،  
وانظر أيضاً ديوانه جمع الملوحي والدرويش  
طبع حمص وما نقله في مقدمته عن كتاب  
الكشكول للعامل وتزيين الأسواق للأنتاكي .

(١) انظر في ترجمة ديك الجن وأخبار  
وأشعاره الأغانى ( طبعة دار الكتب ) ٥١/١٤  
وفيات الأعيان لابن خلكان والوزراء والكتاب  
للجهياري ص ١٠٢ وراجع ديوانه نشر

وَأَنْتَ عَلَامٌ غَيْبِ النَّشَا      يوماً إِذَا نَسَّالٌ أَوْ نُسَّالٌ<sup>(١)</sup>  
نَحْنُ فِدَاءٌ لَكَ مِنْ أُمَّةٍ      وَالْأَرْضُ وَالْآخِرُ وَالْأَوَّلُ

فهو يجعله مصدر الهدى والنور ومعقل العقل وعلام الغيوب ، وكأنه يرى فيه ما يراه الشيعة الغالون في أمتهم . ولم يلبث جعفر أن توفي فبكاه بكاء حاراً . وكان يضم<sup>١</sup> إلى هذا التشيع شعوبية شديدة على العرب وعكوفاً على اللذات وشكوكاً في الدين ، حتى ليبدو أحياناً شاكاً في البعث والنشور . ولم يبق من شعوبيته إلا آثار قليلة ، كقوله في شعر له يخاطب به بعض أجواد العرب :

إِنْ كَانَ عُرْفُكَ مَذْخُورًا لَدَى نَسَبٍ      فَاضْمُمْ يَدِيكَ فِإِنِّي لَسْتُ بِالْعَرَبِيِّ<sup>(٢)</sup>  
إِنِّي أَمْرٌ بَازِلٌ فِي ذِرْوَتَيْ شَرْفٍ      لِقَيْصِرٍ وَلِكَسْرِي مَحْتَدِي وَأَبِي<sup>(٣)</sup>

أما لوه وعكوفه على الخمر فواضحان في أشعاره ، ويقال إنه كان له ابن عم فيه تقوى ، فكان لا يزال ينهاه ، وهو لا يرعوى ولا يزدجر ، ومن طريف نعتة للخمر وساقيتها قوله :

تَسْقِيكَ كَأْسَ مُدَامَةٍ مِنْ كَفِّهَا      وَرَدِيَّةٍ وَمُدَامَةٍ مِنْ ثَغْرِهَا  
وقد ضاع أكثر شعره ، ولم يبق منه إلا أطراف قليلة ، وإلا ما دار حول قصته مع زوجته « ورد » وكانت نصرانية من أهل بلدته ، فشغيف بها حباً ، وأكثر فيها من غزله ، وبادلته حباً بحب ، وأسلمت واقتربت به ، وعاشا مدة هائنين ، وهو سادر في مجونه وغوايته . وكان ذلك - فيما يقال - يؤذي ابن عمه ، فرأى أن يعكر عليه صفو حياته ، وسولت له نفسه أن يرصد له في إحدى أبوابه من سلمية من يرمى عنده زوجته بالسوء ، ولا ندرى كيف صدق ذلك ، وقد مضى قاله السوء يزيدون في وهمه ، حتى سارع يضربها بسيفه ، ففقت نحبها ، ثم عرف براءتها فعاش يبكيها ويندبها ، ندب قلب مزقه الألم والندم ، بمثل قوله :

رَوَيْتُ مِنْ دَمِهَا الثَّرَى وَلَطَالَمَا      رَوَى الْهَوَى شَفَتِي مِنْ شَفْتِيهَا

(١) النشا : الخمر .  
(٢) البازل : الكامل في التجربة . المختة :  
الأصل .

(٣) الثا : الخمر .  
(٤) العرف : المعروف .

وقوله :

كُنْتُ زَيْنَ الْأَحْيَاءِ إِذْ كُنْتُ فِيهِمْ      ثُمَّ قَدْ صِرْتُ زَيْنَ أَهْلِ الْقُبُورِ  
وقوله :

قَمَرًا أَنَا اسْتَخْرَجْتَهُ مِنْ دَجْنِهِ      لِبَلِيَّتِي وَجَلَوْتُهُ مِنْ خَدْرِهِ  
عَهْدِي بِهِ مَيْتًا كَأَحْسَنِ نَائِمٍ      وَالْحُزْنَ يُسْفَحُ عِبْرَتِي فِي نَحْرِهِ

وكان يتعلّق غلاماً وينظم فيه بعض أشعاره ، فجمعت الكتب المتأخرة بين الزوجة والغلام ، وجعلته مصدر شكه واتهامه ، ثم توسعت في القصة ، فجعلته يراها فجأة في بعض الأيام متعانقين تحت إزار واحد ، فقتلها وأحرق جسديهما وصنع من رماد كل منهما كوزاً يحتسى به الخمر ، وتزعم القصة أنه كان إذا أخذ في الشرب تناول هذا تارة وذلك تارة ثانية ، مقبلاً لهما ، ثم أخذ يصب الخمر وهو يصب دموعه منشداً مراثيه فيهما وقلبه يتقطع حزناً وكهداً .

وواضح مما أنشدناه له أنه كان يُعنى بشعره ويروي فيه ، ويقول أبو الفرج إنه يذهب مذهب الشاميين في أشعاره ، وكأنه يريد أن يقرنه بأبي تمام والبحري ومن كانوا يُعتون في شعرهم بالبديع . وليس من شك في أن أروع أشعاره ما نظمه في بكاء صاحبه ، متفجعاً متحسراً نادماً كما لم يندم أحد ، وما زال يردد ذلك حتى توفى سنة ٢٣٥ للهجرة .

٣

### شعراء البرامكة

مرّ بنا في الفصل الأول أن البرامكة ينحدرون من أسرة كانت تضطلع بسدانة معبد النوبهار البوذى في بلخ ، وقد تألق اسم خالد بن برمك في قيادته لبعض الجيوش الخراسانية التي قوّضت حكم بني أمية . ونرى السفاح يتخذة وزيراً له ويقيمه على بعض الدواوين ، كما نرى المنصور وابنه المهدي يقربانه منهما ويولّيانه الولايات والأعمال الجليلة . وما زال عندهما في حظوة حتى توفى سنة ١٦٦ للهجرة . وعرف

المنصور فضل ابنه يحيى ، فولاه ولايات مختلفة في إيران وأذربيجان . ويظهر أن علاقة وثيقة مبكرة انعقدت بين زوجة يحيى والخيزران زوجة المهدي ، فإن زوجة يحيى حين ولدت ابنها الفضل في ذى الحجة لسنة ١٤٧ وولدت الخيزران ابنها الرشيد في شهر المحرم التالي أرضعت كل منهما ابن صاحبتهما ، فكانا أخوين في الرضاع . ولا تكاد توافي السنة الثالثة من خلافة المهدي أى سنة ١٦١ حتى يتخذ يحيى مؤدباً لابنه الرشيد ، ويصبح منذ سنة ١٦٣ القيم على ديوان رسائله ، فكان يلزمه ويدبر شئونه ، حتى إذا توفى المهدي وخلفه الهادي وفكر في تنحية الرشيد عن ولاية العهد عرف كيف يصرفه عن عزمه ، فعظمت منزلته عند صاحبه ، وتطورت الأمور سريعاً ، فتوفى الهادي وخلفه الرشيد لسنة ١٧ فاتخذ يحيى وزيراً له ، وأطلق يده في جميع شئون الدولة وسلّمه خاتم الخلافة ، فأصبح كأنه الحاكم الحقيقي ، وقد أقام ابنه الفضل على المشرق كله من النهروان إلى بلاد الترك وأقام ابنه جعفرأ على المغرب كله من الأبار إلى أقاصى إفريقية .

وكان يحيى عاقلاً حصيفاً يحسن السياسة وتدبير الحكم والنهوض بشئون الثقافة ، فضى كما مرّ بنا في غير هذا الموضع يصبغ نظم الدولة السياسية والإدارية بالصبغة الساسانية كما مضى يُعنى بشئون الطب والترجمة ، فأنشأ المارستان واستدعى له غير طبيب من الهنود وغيرهم ، وشجع على الترجمة لكنوز الثقافات الهندية واليونانية والفارسية ، وبعث نهضة فكرية واسعة . وفتح أبوابه للشعراء والمغنين وأسبغ عليهم هو وابناه الفضل وجعفر العطايا الجزيلة ، حتى لُتروى في ذلك روايات تشبه الأصابص ، وهى تدل على أنهم كانوا بحوراً فيأضة وغيوثاً منهلة . جود سيال توارثوه عن أبيهم خالد ممدوح بشار ، وهو جود جعل صلاتهم لا تنقطع عن الشعراء ، فإذا كثيرون منهم يتقطعون لهم ، وإذا هم يشركون الرشيد في جميع شعرائه ، وقلما وجد شاعر لعصرهم في بغداد إلا ودبج فيهم بعض مدائحه ، ومرت بنا أطراف من ذلك عند سلم الخاسر ومروان بن أبي حفصة ومسلم بن الوليد ، وبمن كان يختص بهم نُصيب الأصغر ، وله في يحيى كلمة طارت أبياتها في الآفاق من مثل قوله (١) :

عند الملوك مَصْرَةٌ ومنافعُ وأرى البرامك لا تضرُّ ، وتنفعُ

(١) أغاني (سالى) ٢٠/٣٤ والجهمياري

وكان ابن منذر كثير المديح ليحيى ، وله فيه قصيدة كانت فاكهة أهل  
الأدب بلجودة ألفاظها ومعانيها ، وفيها يقول مشيداً به وبابنيه الفضل وجعفر (١) :

أنا بنو الأملاك من آل برمكٍ      فياطيب أخبارٍ وياحسناً منظرٍ  
لهم رحلة في كل عامٍ إلى العدا      وأخرى إلى البيت العتيقِ المُستَرِ  
إذا نزلوا بطحاء مكة أشرفتُ      بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفرِ  
فما خلقتُ إلا لوجود أكفهم      وأقدامهم إلا لأعوادٍ منبرِ  
إذا رام يحيى الأمرَ ذلتُ صعابُه      وناهيك من داعٍ له ومدبرِ

ومن لهج بمديح يحيى وابنيه أبو قابوس الحيرى النصراني ، وفي يحيى يقول  
مصوراً بيرة وجوده ووفاءه بوعوده وعهوده (٢) :

رأيت يحيى أتمَّ اللهُ نعمتهُ      عليه يأتى الذى لم يأتَه أحدُ  
ينسى الذى كان من معروفه أبداً      إلى الرجال ولا ينسى الذى يعيدُ  
وكان الأصمعى بألف جعفر بن يحيى ويخصُّ به ، وله فيه مدائح كثيرة  
وتقريظ وتفضيل ، ومن طريف ما له فيه (٣) :

إذا قبيلَ : مَنْ للندى والعلا      من الناس قبيل الفتى جعفرُ  
وما إن مدحتُ فتى قبله      ولكن بنو برمكٍ جوهرُ  
وفيه تقول عنان جارية الناطق (٤) :

بديتهُ وفكرتهُ سواءُ      إذا التبست على الناس الأمورُ  
وكان أخوه الفضل أكثر منه جوداً وأندى راحة ، فتكاثر الشعراء على بابه ،  
وتكاثرت مدائحهم فيه ، وصوّر ذلك بعض الشعراء فقال (٥) :

ما لقينا من جود فضل بن يحيى      ترك الناس كلهم شعراء

(٤) الجهشيارى ص ٢٠٤

(٥) الجهشيارى ص ١٩٥

(١) ابن المعتز ص ١٢٥

(٢) الجهشيارى ص ١٧٩

(٣) الجهشيارى ص ٢٠٦

عَلَّمَ الْمُفْحَمِينَ أَنْ يَنْظُمُوا الْأَشْهُارَ مَنَا وَالْبَاخِلِينَ السَّخَاءَ  
وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ مَدِيحِهِ نُصِيبُ الْأَصْفَرَ وَفِيهِ يَقُولُ وَاصْفَاءُ جُودِهِ الْغَدَقُ (١):

جَادَ الرَّبِيعُ الَّذِي كُنَّا نُوْمَلُّهُ فَكَلْنَا بِرَبِيعِ الْفَضْلِ مُرْتَبِعُ  
وَفِيهِ يَقُولُ سَعِيدُ بْنُ وَهَبٍ (٢):

مَدَحَ الْفَضْلُ نَفْسَهُ بِالْفِعَالِ فَعَلَا عَنْ مَدِيحِنَا بِالْمَقَالِ  
وَيَقُولُ إِسْحَقُ الْمَوْصِلِيُّ مِنْ أَبْيَاتٍ فِيهِ عَمَلٌ فِيهَا لِحْنٌ وَغَنَاءٌ بِهَا ، فَطَرِبَ طَرِبًا  
شَدِيدًا (٣) :

لَوْ كَانَ بَنِي وَبَيْسِ الْفَضْلِ مَعْرِفَةٌ فَضْلُ بْنُ يَحْيَى لِأَعْدَائِي عَلَى الزَّمَنِ  
هُوَ الْفَتَى الْمَاجِدُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ وَالْمَشْتَرَى الْحَمْدَ بِالْغَالِي مِنَ الثَّمَنِ  
وَكَانَ أَخُوهُ جَعْفَرُ بْنُ يَجْفُو أَبَا نَوَاسٍ فَصَبَّ عَلَيْهِ شَوْظًا مِنْ هِجَائِهِ ، أَمَا هُوَ  
فَأَدْنَاهُ مِنْهُ وَعَظْمُ نَائِلُهُ إِلَيْهِ ، مِمَّا جَعَلَهُ يَلْهَجُ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ ، وَفِيهِ يَقُولُ (٤) :

أَوْحَدَهُ اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ لَطَالِبٍ ذَاكَ وَلَا نَاشِدٍ  
لَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمَسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمُ فِي وَاحِدٍ  
وَمَنْ كَانَ يَنْقَطِعُ إِلَيْهِ أَبُو النَّضِيرِ أَحَدُ الشُّعْرَاءِ الْمَغْنِينِ ، وَفِيهِ وَفِي آلِهِ يَقُولُ (٥) :

إِذَا كُنْتَ مِنْ بَغْدَادٍ مَنْقَطِعَ النَّدَى وَجَدْتَ نَسِيمَ الْجُودِ مِنْ آلِ بَرِّمَلِكٍ  
وَمَا زَالَ الشُّعْرَاءُ يَتَنَاشَدُونَ مَدَائِحَ الْفَضْلِ وَأَخِيهِ وَأَبِيهِ مِنْذُ أَسْلَمَ الرَّشِيدُ يَحْيَى  
مَقَالِدَ الْخِلَافَةِ فِي سَنَةِ ١٧٠ حَتَّى أَوَّلِ صَفْرِ سَنَةِ ١٨٧ إِذْ نَكَبَهُمُ الرَّشِيدُ نَكْبَتَهُ  
الْمَشْهُورَةَ أَمْرًا بِقَتْلِ جَعْفَرٍ وَصَلَبِ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ وَحَبْسِ أَبِيهِ وَأَخِيهِ ، وَظَلَا فِي  
الْحَبْسِ إِلَى أَنْ مَاتَ ، أَمَا يَحْيَى فَوَاتَ فِي سَنَةِ ١٩٠ وَمَاتَ الْفَضْلُ فِي سَنَةِ ١٩٢ .  
وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَبْكِيَهُمُ الشُّعْرَاءُ وَأَنْ يَذْرِفُوا عَلَيْهِمُ الدَّمْعَ مَدْرَارًا ، لَمَّا أَغْدَقُوا عَلَيْهِمْ  
مِنَ النِّعَمِ وَالصَّلَاتِ السَّنِيَّةِ ، وَمِنْ طَرَائِفِ مَرَاثِمِهِمْ قَوْلُ مَنْصُورِ النَّمْرِيِّ (٦) :

(١) أغاني (سأى) ٣١/٢٠ .  
(٢) أغاني (سأى) ٧١/٢١ .  
(٣) الجهبشيارى ص ١٩١ .  
(٤) الحيوان للجاحظ ٦٣/٣ .  
(٥) أغاني (طبع دار الكتب) ٢٨٦/١١ .  
(٦) مروج الذهب للمسعودى ٤٩٦/٣ .

أيدى بنى برمكٍ لدينا تبكى عليهم بكلِّ وادٍ  
 كانتُ بهم بُرْهَةً عروساً فأضحتِ الأرضُ في حِدادِ  
 وكان الفضل بن عبد الصمد الرقاشي منقطعاً إليهم ، وطالما نوَّهوا باسمه  
 وأجزلوا في عطائه ، فلما صُلب جسد جعفر على الجسر اجتاز به وهو على الجِدْع  
 فوقف يبكي أحرَّ بكاء ، ثم أنشأ يقول (١) :

أما والله لولا خوفٌ واشٍ وعَيْنٌ للخليفة لا تنامُ  
 لطفنا حولِ جِدْعِكَ واستلمنا كما للناسِ بالحَجَرِ استلام  
 وما أبصرتُ قبلكِ يابن يحيى حُساماً حتَّفه السيفُ الحسام  
 على اللذاتِ والدنيا جميعاً ودولة آل برمكٍ السلام

وأخذ يتحسر عليهم ويتفجع في مرث كثيرة ، ونحن نقف قليلاً عند شاعرين  
 من أهم شعرائهما : أبان بن عبد الحميد اللاحقي وأشجع بن عمرو السلمي .

### أبان (٢) بن عبد الحميد (٣) اللاحقي

من موالى البصرة ، وبها منشؤه ومرباه ، وقد تفتحت شاعريته مبكرة وأخذ  
 يتجه بها نحو المهجاء ، وسرعان ما اصطدم بالمعدّل بن غيَّالان ، واستطار بينهما  
 الشرُّ ، ونرى المعدّل في هجائه يتهمه بأنه مانوي (٤) زنديق ، وهي تهمة ظلت  
 عالقة به ، مما يدلّ على أن لها أساساً في حياته ، وسنرى الجاحظ لا ينفىها عنه ،  
 بل يشبّتها متعجباً ، ويظهر أنه كان يضم إلى هذه الزندقة شيئاً من العكوف على  
 اللهب والمجون شأن أخذانه من الشعراء . ومن هجاءه أيضاً في باكورة حياته بعض

وص ٢٤١ والوزراء والكتاب الجهمياري  
 ص ٢١٨ والحويان للجاحظ ٤/٤٧ وما بعدها  
 وتاريخ بغداد ٧/٤٤ والنجوم الزاهرة ٢/١٦٧  
 (٣) في الفهرست لابن النديم : حميد . انظر  
 ص ١٦٣ .  
 (٤) الصول ص ٧ .

(١) أغاني (ساسي) ٣٤/١٥ وانظر له  
 مرثية أخرى في غرر الخصاص الواضحة للربطوط  
 (طبعة بولاق سنة ١٢٨٤ هـ) ص ٤٠٧ .  
 (٢) انظر في ترجمة أبان وأخباره وأشعاره  
 الأغاني (طبعة الساسي) ٧٣/٢٠ والأوراق  
 للصولي (قسم أخبار الشعراء) طبع مطبعة الصاوي  
 ص ١ - ٥٢ وابن المنز ص ٢٠٢ وما بعدها

قضاة البصرة ، ومن طريف ما يروى من هجائه أنه كان في جواره بالبصرة رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد كان شديد العداوة له ، فتزوج ثقيفية يقال لها عمارة بنت عبد الرحمن ، كانت موفورة الثراء ، فقال أبان يهجوها ويحذرهما منه :

لما رأيتُ البزَّ والشَّارةَ	والفرشَ قد ضاقتُ به الحارةَ
واللوزَ والسُّكَّرَ يُرْمَى بِهِ	من فوق ذى الدار وذى الدارة
وأحضرُوا المُلهِينِ لم يتركوا	طَبِلاً ولا صاحبَ زَمَارِهِ
قلتُ لماذا؟ قيلَ أعجوبةٌ	محمدٌ زُوِّجَ عَمَّارِهِ
لا عمرُ اللهَ بها بيته	ولا رأته مدركاً ثاره
ماذا رأته فيه؟ وماذا رجعتُ؟	وهى من النسوان مختاره
أَسْوَدُ كَالسُّفُودِ يُنْسَى لَدَى الدِّ	نُورٍ بِلِ مِخْرَاكُ قِيَارِهِ
يُجْرَى عَلَى أَوْلَادِهِ خَمْسَةٌ	أَرْغَفَةٌ كَالرِّيشِ طِيَارِهِ
وأهله - فى الأرض من خوفه	إن أفرطوا فى الأكل - سيَّارِهِ

وما كادت عمارة تسمع هذا الهجاء حتى فترت على وجهها ، وهو هجاء يدل على ما وراءه من ظرف . ولا يكاد يُظلم الناس عصر الرشيد والبرامكة الأجواد حتى نراه يهاجر من موطنه إلى بغداد ، متجهاً تَوَّأً إلى الفضل<sup>(١)</sup> بن يحيى ، ومدبجاً فيه قصيدة طويلة صور فيها نفسه مثالا للنديم وأوصافه التي كانت تُشترط لهذا العصر فى الندماء ، يقول :

أنا من بغية الأمير وكنز	من كنوز الأمير ذو أرباح
كاتبٌ حاسبٌ أديبٌ خطيبٌ	ناصرٌ راجعٌ على النصاح
شاعرٌ مفلحٌ أخفٌ من الري	شمة مما تكون تحت الجناح
وظريفُ الحديث من كلِّ فن	وبصيرٌ بترهات الملاح
كم وكم قد خبأتُ عندى حديثاً	هو عند الملوك كالتفاح

(١) فى بعض الروايات أنه اتجه إلى جعفر .

ومضى في القصيد يصف أخذه من كل علم بطرف وبصره بالصيد وشثونه وأنه ليس قصيراً ولا مفراط الطول ، مع صباحة الوجه ولطافة المزاج . فوصله الفضل وخفّ على نفسه ونفس أبيه يحيى وأخيه جعفر ، وقرب من قلوبهم جميعاً حتى صار صاحبهم وحظيهم . وقد نوه بالفضل طويلاً حين قضى على ثورة يحيى ابن عبد الله العلوي بالديلم لسنة ١٧٥ للهجرة وجاء به إلى بغداد ، وكان قد طلب الصلح حقناً للدماء ، وفي ذلك يقول أبان مخاطباً الرشيد :

هنيئاً أمير المؤمنين لك الظفرُ      فقد تمت النعمى وقد ساعد القدرُ  
أتاك بيحيى الفضلُ سلماً يقوده      مُقراً ولولا يُمنُ جدك ما أقرُّ

ويظهر أنه كان يتشيع للعلويين تشيعاً يسره ولا يظهره ، ففي أخباره أنه عتب على البرامكة أنهم لا يصلونه بالرشيد ، ذاكراً لهم أمنيته في أن يحظى من جوائزه السنية ما يحظى به مروان بن أبي حفصة ، فقالوا له إنه إنما يحظى بتلك الجوائز لدفاعه عن حق البيت العباسي في الخلافة ورده على العلويين رداً عتيفاً ، فاسألُك طريقه إن شئت ، فقال : لا أستحلُّ ذلك . ثم حكيت في عينه صلوات الرشيد ، فراجع نفسه ونظم فيه ملحة طويلة يقول في تضاعيفها :

نشدتُ بحقِّ الله مَنْ كان مسلماً      أعمُّ بما قد قلته العجمَ والعربَ  
أعمُّ رسول الله أقربُ زُلْفَةً      لديه أم ابن العمِّ في رتبة النسبِ  
وأيهما أولى به وبعهدهِ      ومن ذا له حقُّ التراثِ بما وجب؟  
فإن كان عباسٌ أحقُّ بترككمُ      وكان عليٌّ بعد ذلك على سببِ  
فأبناء عباسٍ همُ يرثونه      كما العمُّ لابن العمِّ في الإرثِ قد حجبُ

ولم يكذب فرغ من إنشاد القصيدة بين يدي الرشيد حتى أمر له بعشرين ألف درهم واتصل مدحه به . وبلغ من عظم قدره عند يحيى بن خالد أن قلده ديوان الشعر فكان الشعراء يرفعون إليه أشعاره في البرامكة ، فيسقط منها ما يرى إسقاطه ويعرض ما يرى أنه خليلق بالعرض ، مميّزاً بينهم مقدراً لكل منهم المكافأة التي يستحقها جزاء إحسانه . وحدث أن تقدم إليه أبو نواس بقصيد مع طائفة

من الشعراء، فأمر له بدرهم ناقص ، وفي رواية أنه أسقط قصيدته ، فاغتاظ غيظاً شديداً ، وهجاه وتبادلا الهجاء طويلاً . ويُقال إن الهجاء بينهما إنما اندلعت ناره لأن يحيى بن خالد كان قد تقدّم إلى أبي نواس بنظم كليله ودمنة فزيّن له أبان أن يستغنى يحيى من النهوض بهذا العمل المفضى ، ثم حبس نفسه في بيته لا يخرج منه حتى فرغ من نقلها إلى الشعر في أربعة أشهر بالغاً بها أربعة<sup>(١)</sup> عشر ألف بيت . وحمل نقله إلى يحيى بن خالد ، فأعطاه عليه مائة ألف درهم ، وفي رواية أنه أعطاه عليه عشرة آلاف دينار وأعطاه الفضل خمسة آلاف . فحزن أبو نواس ووجد عليه وجداً شديداً ، وأخذ يقتصُّ منه بهجاء مرير ، وردَّ عليه أبان ، فاشتعلت بينهما معركة هجاء عنيفة ، كان أبو نواس دائماً هو الذى يكثُر فيها من السهام المسمومة .

وقد اتاه كثيراً من ثغرة زندقته ، ورؤى له الجاحظ في حيوانه هجائية من هذا اللون ، وهو يتهمه فيها بأنه مانوى وأنه يتشبه بمطيع بن إياس ووالبة وحماد وعجرد وغيرهم من الحجان ، ولا ينفى الجاحظ تهمة الزندقة عن أبان غير أنه ينفى أن يوضع مع مطيع وأمثاله في كفة واحدة ، يقول : « ولقد كان أبان وهو سكران أصح عقلاً من هؤلاء وهم صحاة » . ويقول ابن المعتز موازناً بينه وبين أبي نواس : « كان في جميع أحواله أرفع طبقة من أبي نواس ، وقد هجاه أبو نواس بشعر كثير فما سار له فيه شيء على شهرة شعره ، ولم يقل في أبي نواس غير ثلاثة أبيات ، وقد سارت في الدنيا ، وهى هذه :

أبو نواس بن هانى وأمه جُلْبَان<sup>(٢)</sup>  
والناسُ أظنُّ شيء إلى حروف المعانى  
إن زدت بيتا على ذى ما عشتُ فاقطعُ لسانى

وهى أبيات لاذعة . ويروى الرواة أنه كان له جار يعاديه ، فاعتلَّ علة طويلة ، ولرجف أبان بموته ، ثم صحَّ من علته ، وخرج فجلس على بابهِ ، وإذا أبان ينشده أهجية ، فلم يلبث أن أُرْعِدَ منها واضطرب ، ودخل منزله فما خرج منه حتى

أم أبي نواس ، وكان أبانا يتخذ من ذلك مقزلاً له .

(١) في ابن المعتز : أن أبانا إنما بلغ بها خمسة آلاف بيت .

(٢) الجلبان : شجرة الورد ، وهو اسم

مات . وكان يحسن الرثاء ، ومراثيته التي رواها الصولي في سوار بن عبد الله قاضي البصرة من أجود المراثي ، وهي طويلة طويلاً مسرفاً .

وأهم ما نهض به أبان في الشعر نظمه لكليلة ودمنة ، وقد نظم بجانبها - كما مر بنا في غير هذا الموضع - أرجوزة مزدوجة في الصوم والزكاة ومزدوجات أخرى في التاريخ الفارسي وقصيدة في نشأة الخلق وعلم المنطق . وبذلك مكّن لشبوع الشعر التعليمي في العربية ، ونكتني هنا بقطعة من هذا الشعر افتتح بها باب الأسد والثور في كليلة ودمنة ، وهي تمضي على هذه الشاكلة :

وإن من كان دَنِي النَّفْسِ	يَرْضَى من الأرفع بالأخس
كمثل الكلب الشقيّ البائس	يَفْرَحُ بالعظم العتيق اليابس
وإن أهل الفضل لا يرضيهمُ	شيء إذا ما كان لا يعنهمُ
كالأسد الذي يصيد الأرنبا	ثم يرى العيرَ المجدَّ هرباً <sup>(١)</sup>
فيرسِلُ الأرنبَ من أظفاره	ويتبع العيرَ على أدباره

وتطرّد أرجوزته في كليلة ودمنة وفي كثير من الموضوعات التعليمية التي عنى بالنظم فيها على هذا النمط المزدوج الذي اصطفى له لغة جزلة متينة طالما راعت معاصريه ومن تلاهم ، حتى ليقول ابن المعتز في التعريف به : « كان شاعراً أديباً ، عالماً ظريفاً ، منطيقاً ، مطبوعاً على الشعر مقتدراً عليه . . وهو الذي نقل كليلة ودمنة شعراً بتلك الألفاظ الحسنة العجيبة . . ولم يقدر أحد من الناس أن يتعلق عليه بخطأ في نقله ، ولا أن يقول : ترك من لفظ الكتاب أو معناه » . وترجم الصولي لأخيه عبد الله وابنه حمدان وحفيده أبان . ونظن ظناً أنه ظل مشغولاً بعد البرامكة بشعره التعليمي ، حتى توفي سنة ٢٠٠ للهجرة ، فإنه لم يؤثّر له شعر في مديح الأمين ولا في مديح المأمون وقواده ووزرائه .

(١) العير : حمار الوحش .

أشجع<sup>(١)</sup> بن عمرو السلمي

من بني الشريد السلميِّين ، كان أبوه ينزل البصرة ، وتعلق بامرأة من أهل اليمامة ، فشخص معها إلى موطنها وتزوجها ، فولدت له بموطنها أشجع حيث قضى السنوات الأولى من حياته . ومات أبوه فقدمت به أمه إلى البصرة تطلب ميراث أبيه ، وكانت قد رُزقت منه أيضاً ولديها أحمد وحُرَيْثًا . وأكمل أشجع نشأته ومرباه بالبصرة ، وتفتحت مواهبه الشعرية فابتهجت به قبيلته وأخواتها من القبائل القيسية ، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن ، ولم يكن لقيس شاعر معدود ، فلما نجم أشجع ولمع اسمه افتخرت به قيس ، وبادلها فخراً بفخر من مثل قوله :

إذا افتخرتُ قيسٌ بطيبِ العناصرِ      على الناسِ طاطا رأسه كلُّ فاجرٍ

ولم يلبث أن شد رحاله إلى بغداد لأواخر عهد المنصور ( ١٣٦ - ١٥٨ هـ ) فمدح ابنه جعفرًا ، ويقال إن الذي وصله به عوف بن أحمد بن يزيد السلمي ، وله فيه وفي أبيه أحمد وعمه محمد مدائح مختلفة . ولم يكذب يزغ عصر الرشيد حتى وصلته به زوجته زُبَيْدَة بنت جعفر بعد وفاة أبيها مدوحه ، فأسنى جوائزها ، ويقال : بل الذي وصله به جعفر بن يحيى البرمكي . وتؤكد بعض الروايات أن أول اتصاله به إنما كان في الرقعة حين انتقل إليها من بغداد سنة ١٨٠ لينظر منها سريعاً إلى حرب الروم حين يدعو الداعي ، ومن أجل ذلك استوطنها مدة . ونظن أن اتصاله بالرشيد يسبق هذا التاريخ ، فقد روى صاحب الأغاني عنه أنه قال : « دخلتُ على محمد الأمين حين أجلس مجلس الأدب للتعليم وهو ابن أربع سنين ، وكان مجلس فيه ساعة ثم يقوم ، فأنشدت :

مَلِكٌ أبوه وأمه من نَبَعَةٍ      منها سراجُ الأمة الوهاجُ<sup>(٢)</sup>

ومروج الذهب للمسعودي ٢٩٦/٣ والوزراء والكتاب للجيشياري ص ٢١٥ والمرزوق على الحماسة ص ٨٥٦ .  
(٢) النبعة : شجرة ضخمة تتخذ منها القسي والسهام ، والاستمارة واضحة .

(١) انظر في أشجع وأشعاره وأخباره ابن المعتز ص ٢٥١ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٨٥٧ والأغاني (طبعة الساسي) ٣٠/١٧ والأوراق للصولي (قسم أخبار الشعراء) ص ٧٤ وتاريخ بغداد ٤٥/٧ والمرشح للمزباني ص ٢٩٥

شربت بمكة في رُبَى بَطْحَانِهَا ماء النبوة ليس فيه مزاج<sup>(١)</sup>  
 فأمرت له أمه زُبَيْدَةَ بمائة ألف درهم ، ويقال إنه لم يتولَّ الخلافة أحد أبوه  
 وأمه من بني هاشم إلا على بن أبي طالب ومحمد الأمين . ومعروف أن الأمين  
 ولد سنة ١٧٠ ومعنى ذلك أن دخول أشجع عليه ومدحه كانا في سنة ١٧٤ وفي  
 ابن المعتز ما يدل على أن البيتين من قصيدة مدح بها الرشيد . وسنراه يكثر من  
 مدحه في حربه لنقفور ، وقد مضى بوثق عهده للمأمون بولايته العهد بعد أخيه  
 الأمين توثيقاً شديداً بقوله :

بِعَمَّةُ المأمونِ آخِذَةٌ بعِنانِ الحقِّ في أُنْفِقَةٍ  
 لن يفكَّ المرءُ رِبْقَتَهَا أو يفكَّ الدين من عُقْبَتِهِ  
 وله من وجهه والدهِ صورةٌ تَمَّتْ ومن خلقه

وكتب الرشيد لولديه كتاباً بهذا العهد ، وعلَّقَه في سقف الكعبة سنة ١٨٢  
 فلانبرى أشجع يصوب رأيه ويؤكِّده في قصيدة طرب لها الرشيد .

على أن صلته به إنما كانت في ثنانيا صلة وثيقة بجعفر بن يحيى البرمكي وأبيه  
 وأخيه ، حتى لكأنما اقتطعوه منه ، ويقال إن أنس بن أبي شيخ كاتب جعفر هو  
 الذي وصله به ، ثم انعقدت صلته بأخيه الفضل وأبيه يحيى وكان أول ما أنشده :

ذهبتُ مكارمُ جعفرٍ وفَعَالِهِ في الناس مثل مذاهبِ الشَّمْسِ  
 ملكٌ تسوس له المعالي نَفْسُهُ والعقلُ خيرُ سياسةِ النَّفْسِ

فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وكان جعفر حينئذ بمجلس في أحد قصورهم  
 بحي الصالحية ، فقال له صف موضعنا ، فأنشد على البديهة :

قصورُ الصالحيةِ كالعَدَارَى لَيْسَنَ ثيابهن ليومِ عُرْسِ  
 مِطْلَآتُ علي روضِ كِسْتِهِ أَيْدِي المَاءِ وشيأُ نَسِجِ عُرْسِ  
 إذا ما الطَّلُّ أَثَّرَ في ثَرَاهِ تَنْفَسُ نَوْرُهُ من غيرِ نَفْسِ<sup>(٢)</sup>

(٢) الطل : الندى والمطر الخفيف .

(١) بطحاء مكة : وأدها بين الربيع والجبال . وكانت تنزله في الجاهلية عشائرها الشريفة .

فَتَغَبَّه السَّمَاءُ بِصَبْغٍ وَزَّرِسٍ وَتَصَبَّحَهُ بِأَكْوَسٍ عَيْنِ شَمْسٍ<sup>(١)</sup>  
 وأعجب جعفر بحسن بديهته . وأصبح شاعره وشاعر أسرته يمدحه ويمدح أباه  
 يحيى وأخاه الفضل ، ويغدقون جميعاً عليه العطايا الجزيلة ، ومن قوله في يحيى :

كفاني صروفَ الدهرِ يحيى بن خالدٍ فأصبحتُ لا أرتاع للحدثانِ  
 كفاني - كفاه الله كلَّ مُلِمَّةٍ - طلابَ فلانٍ مرَّةً وفلان  
 فأصبحتُ في رَغَدٍ من العيشِ واسعٍ أقَلَّبَ فيه ناظري ولساني

وزاه يرافق جعفرأ حين هاجت العصبية بين النزارية واليمينية في الشام لسنة ١٨٠  
 وقد ظفر بجماعة ممن سعوا بالفساد وشرَّد آخريين وأصلح ذات البين بين الفئتين  
 المتناحرتين . وأكثر من مديحه حينئذ ، ويقال إنه كان يُجرى عليه في كل يوم  
 جمعة مائة دينار وأشجع يجري عليه أشعاره من مثل قوله :

أصلحتَ أمرَ الشام محتسباً ورتقت ما فيها من الفتقِ  
 ما كان يَدْرُكُ بالقتالِ ولا بالمالِ ما أدركت بالرفقِ

وعزم الرشيد في نفس السنة على تولية جعفر خراسان وسجستان وأخرج له الأمر  
 بذلك ، فابتهج وابتهج معه شاعره ، ولم يلبث أن دبَّج فيه إحدى رواثعه وفيها  
 يقول :

يريد الملوك مدى جعفرٍ ولا يصنعون كما يصنعُ  
 وليس بأوسعهم في الغنى ولكنَّ معرفه أوسع  
 وكيف ينالون غاياته وهم يجمعون ولا يجمع  
 بديته مثلُ تدبيره متى رُمته فهو مستجمع

وبدا للرشيد فرجع في أمره وعزيمته ، فأنشده شعراً طريفاً يسليه به ، زاعماً أن  
 الرشيد رأى حاجته إليه أمسّ من حاجة أهل خراسان . ويكثر من مديح جعفر

الصباح وهو شرب الخمر في الصباح .

(١) تغبته : من الغبوق وهو شرب الخمر في  
 المساء ، والورس : زهر أصفر . تصبغه : من

ولا يلمُّ به مرض هو أو أبوه إلا ويكثر من دعائه لهما بالشفاء وفي يحيى يقول وقد أخذته علة :

إذا ما الموتُ أخطأه فلسنا نبالي الموتَ حيث غدا وراحا  
ولما استأذن من الرشيد أن يجاور بمكة لسنة ١٨١ ظل يردد افتقاد بغاة الخير  
له وحزْنهم لطول غيبته من مثل قوله :

قد غاب يحيى فما أرى أحداً      يأنسُ إلا بذكره الحسنِ  
أوحشتِ الأرضَ حين فارقها      من الأيادي العظام والمِنينِ  
لولا رجاء الإياب لانصدعتُ      قلوبنا بعده من الحزنِ

ويروى صاحب الأغاني أن جعفرًا ولاء عملا ، فرفع إليه أهله شكايات كثيرة متظلمين منه ، فصرفه جعفر عنهم ، فلما رجع إليه من عمله مشتل بين يديه وأنشده قصيدة طويلة يقول فيها :

لقد هزّت سنانَ القول مني      رجالٌ وقبعةٍ لم يعرفوني  
أطافوا بي لديك وغبتُ عنهم      ولو أدنيتني لتجنبوني  
فوصله جعفر وخلع عليه . وظل يتغنى ببعضه وبأبيه وأسرته حتى نكبهم الرشيد ، فتحسر عليهم طويلاً ومن قوله فيهم :

كأنما أيامهم كلها      كانت لأهل الأرض أعيادا  
وجعلته صلته بالبرامكة بمدح كتابهم وأصحابهم من مثل إسماعيل بن صبيح ،  
وهن جيد قوله فيه :

له نظرٌ لا يغمض الأمرُ دونه      تكاد ستورُ الغيب عنه تمزقُ

ولعله لم يكثر من مديح صاحب لم كما أكثر من مديح محمد بن منصور ابن زياد . وقد مضى بعد نكبتهم يحاول القربى من الرشيد ، وأوصله له حاجبه ووزيره الفضل بن الربيع قائلا له : « هو أشعر شعراء أهل الزمان وقد اقتطعته

عنك البرامكة فأمر بإيصاله مع الشعراء « وقد تغنى بانتصاراته على نفقور وجنوده  
وفتحه لهرقلة غناء حاراً ، من مثل قوله :

برقت سماؤك في العدو وأمطرتُ هَاماً لها ظلُّ السيفِ غَمَامٌ<sup>(١)</sup>  
وعلا عدوك يا بن عمِّ محمد رَصْدَان : ضوء الصبح والإظلامُ  
فإذا تنبه رُجْمَتُهُ وإذا غَفَا سَلَّتْ عليه سيوفك الأحلام  
ولما بلغ هذا البيت في القصيدة اهتز الرشيد ، وأمر بأن ينثر عليه الدر إعجاباً  
واستحساناً ، وله يقول من قصيدة أخرى وقد جلس للشعراء عقب هذا الفتح في  
يوم عيد :

لا زلتَ تنشر أعياداً وتطويها تَمْضَى بها لك أَيَّامٌ وتُمْضِيهَا  
وَلِيَهْنِكَ الفتح والأَيَّامُ مقبلة بالنصر والعزُّ معقوداً نواصيها  
أَمَسَتْ هرقلة تهوى من جوانبها وناصرُ الله والإسلام يرميها  
وكان الرشيد يكثر من حجه إلى البيت الحرام ومن جهاده العنيف للروم ،  
قاسماً سنه بين حج وغزو ، فصور ذلك أشجع تصويراً بديعاً في قصيدة استقبله  
بها في يوم قدوم له من حج بإحدى السنوات ، وفيها يقول :

أَلِفَ الحَجِّ والجهادَ فَمَا يَنْدُ فِكُّ من سَفَرَتَيْنِ في كل عامٍ  
سَفَرٌ للجهادِ نحو عدوِّ والمطايا لِسَفَرَةِ الإِحْرَامِ<sup>(٢)</sup>  
طَلَبَ اللهَ فهو يسعى إليه بالمطايا وبالجياد السَّوَامِ  
فِي دَاهِ يَدٌ بِمَكَّةَ تدعو ه وأخرى في دعوة الإسلام

وله مدائح مختلفة في الفضل بن الربيع . وكان يجيد الرثاء كما كان يجيد المديح ،  
إذ كان يعرف كيف يمس القلوب وكيف يستثير الحزن في الصدور ، على نحو ما  
يلقانا في رثائه لمحمد بن منصور بن زياد ، وفيه يقول :

(١) رمزاً للجهاد ، والسوَام : من سامت الريح :  
إذا مرت واستمرت .

(١) الهام : الرووس .  
(٢) جعل المطايا أى الإبل رمزاً للحج والجياد

أُنْعَى فَتَى الْجُودِ إِلَى الْجُودِ      مَا مِثْلُ مَنْ أُنْعَى بِمَجُودٍ  
 أُنْعَى فَتَى مَصَّ الشَّرَى بَعْدَهُ      بَقِيَّةَ الْمَاءِ مِنَ الْعُودِ  
 فَالْأَرْضُ يَبَسَتْ أَشْجَارُهَا بِمَوْتِهِ .      وَمِنْ مَرَاتِيهِ الرَّائِعَةُ الَّتِي رَوَاهَا أَبُو تَمَامٍ فِي  
 حِمَاسَتِهِ مَرثِيته فِيمَنْ يَسْمَى ابْنَ سَعِيدٍ وَفِيهَا يَقُولُ :

مَضَى ابْنُ سَعِيدٍ حِينَ لَمْ يَبْقَ مَشْرِقٌ      وَلَا مَغْرِبٌ إِلَّا لَهُ فِيهِ مَادِحٌ  
 وَمَا كُنْتُ أُدْرِي مَا فَوَاضِلُ كَفِّهِ      عَلَى النَّاسِ حَتَّى غَيَّبْتَهُ الصَّفَانِحُ (١)  
 فَاصْبَحَ فِي لَحْدِهِ مِنَ الْأَرْضِ مَيْتًا      وَكَانَتْ بِهِ حَيًّا تَضْيِقُ الصَّحَاصِحُ (٢)  
 سَابِكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغَفَّضُ      فَحَسْبِكَ مِنِّي مَا تُجْنُ الْجَوَانِحُ (٣)  
 وَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَاذِعٌ      وَلَا بِسُرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ  
 كَانَ لَمْ يَمِتْ حَتَّى سَوَاكَ وَلَمْ تَقْمِ      عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَاحِ  
 لَكِنَّ حَسُنْتَ فِيكَ الْمَرَاتِي وَذَكَرُهَا      لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلِ فِيكَ الْمَدَائِحُ  
 وَغَزَلَهُ رَقِيقٌ وَلَهُ خَمْرِيَاتٌ قَلِيلَةٌ .      وَوَاضِحٌ مِمَّا أَنْشَدَنَاهُ لَهُ أَنَّهُ كَانَ غَزِيرَ الْمَعَانِي  
 رَشِيقَ الْأَسْلُوبِ وَأَنْ قَصَائِدَهُ الْجِيَادُ نَعْدُ مِنْ عَيُونِ الشَّعْرِ فِي هَذَا الْعَصْرِ وَدَرَرَهُ النَّفْسِيَّةُ ،  
 وَقَدْ عَاشَ حَتَّى شَهِدَ قَتْلَ الْأَمِينِ فِي سَنَةِ ١٩٨ إِذْ رَوَى لَهُ الصُّوْلِيُّ قَصِيدَةَ فِي مَدِيحِ  
 طَاهِرِ بْنِ الْحُسَيْنِ الَّذِي حَاصِرَهُ إِلَى أَنْ ظَفَّرَ بِهِ وَقُتِلَ صَبْرًا ،      وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ  
 مَخَاطِبًا لَهُ :

سَلَبْتَ رِدَاءَ الْمَلِكِ ظَالِمٍ نَفْسِيهِ .      وَصَنْتَ الَّذِي وَلَّاكَ قَصَمَ الْجَبَابِرِ  
 وَأَكْبَرَ الظَّنَّ أَنَّهُ تَوَفَّى بَعْدَ ذَلِكَ بِقَلِيلٍ .

(٢) الصَّحَاصِحُ : الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ الْمَسْتَوِيَّةُ .  
 (٣) نَجْنُ : تَضْمُرُ الْجَوَانِحُ : الصَّلُوعُ .

(١) الصَّفَانِحُ : الْحِجَارَةُ الْعَرَاضُ فِي مَقْفِ  
 الْقَبْرِ .

## شعراء الوزراء والولاة والقواد

لا يكاد يوجد في هذا العصر وزير ولا وال ولا قائد إلا وقد مدحه الشعراء طلباً بلحاظه السنية ، ولن نستطيع أن نستقصى مدائحهم ، ولذلك سنكتفي بأكثرهم تداولاً على ألسنة الشعراء ، ولعل أنبه وزير لعصر المنصور أكثر الشعراء من مدحه خالد بن برمك . وكان يعقوب بن داود وزير المهدي ومنه جو بشار ممدحا لكثير من الشعراء ، وقد وجدوا عليه وجداً شديداً حين حبسه المهدي ، وصوروا ذلك في أشعارهم من مثل قول أبي حنيس التميمي<sup>(١)</sup> :

يعقوبُ لا تَبْعُدْ ، وَجُنُبْتَ الرَّدَى فَلَئبِكَيْنِ زَمَانِكَ الرَّطْبَ الثَّرَى  
وقول أبي الشَّيْصِ مخاطباً المهدي<sup>(٢)</sup> :

أبلغُ إمامَ الهُدَى أن لستَ مضطنعاً للنائبات كي يعقوبَ بن داودِ  
لو تبتغي مثله في الناسِ كلهم طلبتَ ما ليس في الدنيا بموجودِ  
واستوزر المهدي بعده الفيض بن أبي صالح ، وكان غنياً مدراراً ، ومن كان ينقطع إليه أبو الأسد الحماني التميمي وفيه يقول<sup>(٣)</sup> :

ولأئمةٍ لامتك - يا فيضُ - في الندى فقلتُ لها لن يَقْدَحَ اللُّومُ في البحرِ  
أرادتْ لِيَتَنَهَى الفيضَ عن عادةِ الندى ومن ذا الذي يَغْنَى السحابَ عن القَطْرِ  
مواقعُ جودِ الفيضِ في كلِّ بَلَدَةٍ دواتعُ ماءِ المُنْزَنِ في البلدِ القَفْرِ  
كَانَ وفودَ الفيضِ لما تحمَلُوا إلى الفيضِ لا قَوْماً عنده ليلةَ القَدْرِ

ومرّت بنا مدائح الشعراء في البرامكة ، وكان الفضل بن الربيع يحجب الرشيد في وزارتهم ، ثم خلفهم على وزارته ، ووزر من بعده للأمين ، وقد مدحه ونوه

(٣) الأغاني (طبعة دارالكتب) ١٤/١٣٤ .

(١) المرزوقي على الحماسة ص ٩٤٦ .

(٢) الوزراء والكتاب الجهشيارى ص ١٦٣ .

به كثيرون وفي مقدمتهم أبو نواس وأبو العتاهية ، وفيه يقول<sup>(١)</sup> :

إذا ما كنت متخذًا خليلًا      فمثل الفضل فاتخذ الخليلًا  
يرى الشكر القليل له عظيمًا      ويُعطي من مواهبه الجزيلًا  
أراني حينًا يَمَّتْ طرقي      وجدتُ على مكارمه دليلًا

ولاسحق الموصلي أشعار فيه لحنها وغمى فيها ، ومن يُسلك في مدّاحه  
أبو نخيلة ، وسلم الخاسر ، وأشجع السلمي ، ومنصور التمرى ، وفيه يقول<sup>(٢)</sup> :

هو الأوحَدُ في الفضلِ      فما يُعرفُ ثانيه

ونلتقى بعده بالفضل والحسن ابني سهل وزيرى المأمون ، وكانا جوادين  
مدّحين ، وقد نوّه مسلم بن الوليد بالفضل طويلا ، وفيه يقول مشيراً إلى تدبيره  
الأمر للمأمون حتى أسقط الأمين<sup>(٣)</sup> :

أقمتَ خلافةً وأزلتَ أخرى      جليلٌ ما أقمتَ وما أزلنا

وقد عاش الحسن بعد الفضل طويلا ، فكثرت أمداح الشعراء فيه ، وفي  
مقدمتهم أبو تمام وأبو العَمَيْثَل وأبو فرعون الساسي ومحمد بن عبد الملك الزيات  
ومحمد بن وهيب ، وفيه يقول<sup>(٤)</sup> :

به تُجْتَدَى النعمى وتُستدرك المنى      وتُستكمل الحسنى وترعى الأواصرُ  
ولما رأى الله الخلافة قد وهتُ      دعائها والله بالأمر خابِرُ  
بنى بك أركاناً عليها محيطَةٌ      فأنّت لها دون الحوادث ساترُ

ولعل وزيراً بعده لم يُمدّح كما مُدّح محمد بن عبد الملك الزيات وزير المعتصم  
والواثق ، وللحسن بن وهب كاتبه فيه أشعار كثيرة ولعل شاعراً لم ينوّه به كما نوّه  
أبو تمام .

وإذا تركنا الوزراء إلى الولاة وجدنا بينهم كثيرين من الأجواد المدّحين

(٣) ديوان مسلم ص ٣٠٧ .  
(٤) أغاني (سالم) ١٧/١٤٤ .

(١) أغاني ٤/٦٧ .  
(٢) أغاني ١٣/١٥٠ .

وفى ظليعتهم مَعْنُ بن زائدة الشيباني والى اليمن للمنصور ثم سجستان ، وهو ممدوح مروان بن أبى حفصة كما مرَّ بنا فى غير هذا الموضع ، ومن مدَّاحه مطيع بن لياس والحسين بن مطير ، وله فيه حين توفى مرثية بديعة أنشدنا قطعة منها فى غير هذا الموضع . وطبيعى أن يكثُر فى هذا العصر مديح ولاية البصرة والكوفة . ويردِّد مديح الأولين فى ديوان بشار حتى وفاته ، كما يتردِّد الثانون فى أشعار الكوفيين تردداً أوسع من أن يُحصَى ويستقصى . وكان فى كل ولاية شعراء من أهلها لا يزالون بمدحون ولاتها ، وكان كثير من شعراء العراق يفدون عليهم لأخذ جوائزهم ، ويكفى لتصوير ذلك أن نرجع إلى مصر فسرى بها شعراء من الطبقة الثانية لا يزالون بمدحون من يتولى عليها على نحو ما يصور لنا ذلك كتاب الولاة والقضاة للكندى . وقد رحل إليها غير شاعر مقدِّماً مدائحه لولاتها الذين اشتهروا بمجودهم ، ظافراً منهم بالصلات السنية ، ومن لاناتها الأجواد لعهد المنصور يزيد بن حاتم بن قبيصة المهلبى ممدوح بشار وربيعة الرقى ، وقد قدم عليه فى ولايته ابن المولى ومدحه بقصائد كثيرة من مثل قوله :

يا واحدَ العربِ الذى أضْحَى وليس له نظيرُ  
لو كان مثلكَ آخرٌ ما كان فى الدنيا فقيرُ

ويقال إنه أعطاه فى هذه القصيدة عشرين ألف دينار<sup>(١)</sup> . غير ما أعطاه فى قصائده الأخرى . وقد عرضنا فى حديثنا عن أبى نواس لرحلته إلى الخصب صاحب خراجها وما أغدق عليه من برِّه ، كما عرضنا فى حديثنا عن أبى تمام لرحلته إلى عياش بن لهيعة الخضرى . وما كان من اتصاله بولاتها المختلفين ، وصورنا من بعض الوجوه مدائحه لبعض ولاية دمشق والموصل وديار ربيعة وأذربيجان والشغور . ومرَّت بنا أيضاً مدائح دعبل للمطلب الخزاعى حين ولى مصر وكيف أشاد به أولاً ثم هجاه .

وليس من شك فى أن طاهر بن الحسين وابنه عبد الله هما أهم ولاية تغنى بهما الشعراء ، إذ جذبا إلى ولايتهما فى خراسان غير شاعر ، ومن مدَّاح طاهر الرقاشى وأبو العميثل والشاعر الملقب بالصينى ، على نحو ما يصور لنا ذلك ابن المعتز ،

(١) أغاني (دارالكتب) ٢٨٩/٣ وما بعدها .

ويقول في ترجمة عوف بن محلم الخزاعي : « كان معدوداً من الشعراء الظرفاء المحدثين وكان طاهر بن الحسين قد استخصه واختاره لمنادمته ، فكان لا يفارقه في سفر ولا حَضْر . . . ومما سار له في الدنيا قوله له إذ وقف على الجسر في حرّاقة (١) يستنحدر إلى دار الخليفة . فقال رافعاً صوته :

عجبت لحرّاقة ابن الحُسَّه بين كيف تسير ولا تَغْرُقُ  
وبحران : من تحتها واحدٌ وآخرٌ من فوقها مُطْبِقُ  
وأعجب من ذلك عيدانها وقد مسّها كيف لا تُورِقُ

وكان ابنه عبد الله على مثاله جوداً وشجاعة وسماحة ، ويقال إنه لما ولاه المأمون مصر لسنة ٢١١ أعطاه مالها لعام : خراجها وضياعها ، فوهبه كله وفرّقه في الناس ، وقد لُج الشعراء فيها بمدحيه وفي مقدّماتهم مُعلّى الطائي وله يقول (٢) :

لو أصبح النَّيْلُ يَجْرِي مازِه ذهباً لما أشرتَ إلى خَزَنِ بِمِثْقَالِ  
تَفُكُ بِالْيُسْرِ كَفَّ العُسْرِ من زمنٍ إذا استطال على قومٍ بِإِقْلَالِ  
وما بثشتَ رَعِيْلَ الخَيْلِ في بلدٍ إلا عَصَفْنَ بِأَرْزاقِ وآجَالِ

وقد لزمه في ولايته على خراسان كثير من الشعراء أمثال أبي العَمَيْثِل وعوف بن محلم الخزاعي شاعري أبيه ، وله يقول عوف من قصيدة طويلة (٣) :

يا بِنَ الذي دان له المشرقانُ وأليسَ الأمانَ به المغربانُ  
وهو ممدوح على بن جبلة وأبي تمام والعتّابي ، وله يقول (٤) :

وَدُكُ يكفينيك في حاجتي ورويتي كافيةٌ عن سؤالِ  
وكيف أخشى الفقر ما عشتَ لي وإنما كَفَّفَاك لي بيتُ مالِ

وعلى نحو ما مدح الشعراء الولاة ونوّهوا بهم طويلاً مدحوا القواد أمداحاً رائعة ، ومدائح بشار وأبي العتاهية في عمر بن العلاء الذي قضى على الحمرة بمرجان لعهد المهدي

(٣) ابن المعتز ص ١٨٨ .

(٤) أغاني ١٣/١١٧ .

(١) الحراقة : ضرب من السفن .

(٢) أغاني (دار الكتب) ١٠٢/١٢ .

مشهورة . ولعل قائداً لم يُمدَّحَ في عصر الرشيد كما مدَّحَ يزيد بن يزيد الشيباني  
مدوح مسلم بن الوليد ، وفيه يقول منصور النمرى<sup>(١)</sup> :

لا تقربنَّ يزيداً عند صَوْلَتِهِ لَكِنْ إِذَا مَا احْتَبَيْتِ لِلجُودِ فاقْتَرَبِ

ومن مداحه علي بن الخليل وعبد الله بن أيوب التيمي . ومن كبار القواد لعهد  
المأمون والمعتصم أبو دُلُف العجلى ، يقول أبو الفرج في ترجمته له : « محله في  
الشجاعة وعلوِّ المحل عند الخلفاء وعظم الغناء في المشاهد وحسن الأدب وجودة الشعر  
محل ليس لكبير آخر من نظرائه<sup>(٢)</sup> » وكانت غيوث كرمه لا تزال تنهلُ على  
الشعراء ، مما جعل ألسنتهم تلهج بمدحيه ، ومن كان ينقطع إليه على بن جبلة  
وأبو الأسد الحِمَّاني التيمي وبكر بن النطاح ، وفيه يقول مصوراً شجاعته<sup>(٣)</sup> :

قالوا وينظم فارسين بطعنةٍ يومَ اللقاء ولا يراه جليلا

لا تعجبوا لو أن طول قناتهٍ ميلٌ إذن نظمَ الفوارسَ ميلا

وله يقول<sup>(٤)</sup> :

فكفك قوسٌ والندى وترُّ لها وسَهْمك فيه البُسْرُ فارمٍ به عُسرى

ويقول أيضاً فيه :

ولقد طلبنا في البلاد فلم نجدُ أحداً سواك إلى المكارم يُنسبُ  
وهو من مدَّاح أبي تمام ومحمد بن وهيب وغيرهما . وقد جلى في  
حروب المأمون والمعتصم مع بابك والروم قواد كثيرون في مقدمتهم الأفشين وخالد  
ابن يزيد بن مزيد وأبوسعيد محمد بن يوسف الثغرى ولأبي تمام فيهم أمداح رائعة  
صورتنا أطرافاً منها في ترجمته . ونحن نقف قليلا عند أربعة من شعراء هؤلاء القواد  
ومن سبقهم من الولاة والوزراء وهم : أبو الشيص وعبد الله بن أيوب التيمي وعلي  
ابن جبلة والخريمي .

(٣) أغاني (طبعة الساسي) ١٧/١٥٥ .

(٤) ابن المعتز ص ٢١٩ .

(١) أغاني ١٣/١٥٥ .

(٢) أغاني ٨/٢٤٨ .

## أبو الشَّيْص (١)

غلبَ عليه لقبه أبو الشَّيْص واسمه محمد بن عبد الله بن رَزِين وهو ابن عم دِعْبِل ، ويقول أبو الفرج « كان متوسط المحل في شعراء عصره غير نابه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد وأشجع وأبي نواس ، فحمل وانقطع إلى عقبة بن جعفر ابن الأشعث الخزاعي أمير الرِّقَّة فمدحه بأكثر شعره ، فقلما يُروى له في غيره ، وكان عقبة جواداً فأغناه عن سواه » . ومن مختار شعره فيه قوله مستطرداً من وصف الإبل إلى مديحه :

إنَّ الأمانَ من الزمانِ ورَيْبِهِ      يا عُقْبَ سَطًّا بِحَرْكِ الغِيَّاصِ  
بَحْرٌ يِلُوذُ المَعْتَفُونَ بِنَيْلِهِ      فَعَمَّ الجَدَاوِلُ مُتْرَعِ الأَحْوَاصِ (٢)  
ثَبَّتَ المَقَامَ إِذَا التَوَى بَعْدَهُ      لَمْ يَخْشَسْ مِنْ زَلَّلٍ وَلَا إِدْحَاصِ (٣)  
غَيْثٌ تَوَشَّحَتِ الرِّيَاضُ عِهادَهُ      لَيْثٌ يَطُوفُ بِغَابةٍ وَغِيَّاصِ (٤)  
ومشمرٌ للموتِ ذَبِيلَ قَمِيصِهِ      قَانِيَ القَنَاةِ إِلى الرَّدَى حَوَاصِ

ويقول ابن المعتز إنه مدح الرشيد مدائح كثيرة ، ولما مات أكثر من رثائه ومدح الأمين وله في ذلك بدائع كثيرة من مثل قوله :

جَرَّتْ جِوارِ بِالسَّعْدِ والنَّحْصِ      فنحن في وَحْشَةٍ وفي أنيس  
العَيْنُ تَبْكِي والسَّنُّ ضاحِكَةٌ      فنحن في مَأْتَمٍ وفي عُرْسِ  
يَضْحَكُنَا القائِمُ الأَمِينُ وَتُبُّ      كِينا وَفاةَ الإِمامِ بِالْأَمِينِ  
بِدرانِ : بَدْرٌ أَضْحَى بِبَغْدادِ في الأُ      حُلْدِ وَبَدْرٌ بِطِوَسٍ في الرَّمْسِ (٥)

(١) انظر في أبي الشَّيْص وأخباره وأشعاره .

(٢) (٣) إدحاص : انزلاق .

(٤) المهاد : أول مطر الربيع . غيَّاص :

جمع غيضة وهي الشجر الملتف .

(٥) الخلد : قصر بناه المنصور ببغداد .

الرمس : القبر .

(١) انظر في أبي الشَّيْص وأخباره وأشعاره

ابن المعتز ص ٧٢ وابن قتيبة ص ٨٢٠ والأغاني

(طبعة دار الكتب) ٤٠٠/١٦ ونكت الحميان

للصفدي ص ٢٦٧ وتاريخ بغداد ٤٠١/٥

وفوات الرويات ٢٢٥/٢ .

(٢) فعم : مملوء .

وله فيه مرثية طويلة عجيبة يقول فيها مستغلا وفاته بطوس في المشرق :

غَرَبَتْ فِي الْمَشْرِقِ الشَّمْسُ فَقَلْبُ لِلْعَيْنِ تَدْمَعُ  
مَا رَأَيْنَا قَطُّ شَمْسًا غَرَبَتْ مِنْ حَيْثُ تَطْلُعُ

ومن رائع مرثيته قوله يبكي بعض الأبطال وقد سقط صريعاً في ميدان القتال مصوراً بأسه وشجاعته :

خَتَلَتْهُ الْمَنُونُ بَعْدَ اخْتِيَالٍ بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ قَنَاءٍ وَنِصَالٍ  
فِي رِءَاءٍ مِنَ الصَّفِيحِ صَقِيلٍ وَقَمِيصٍ مِنَ الْحَدِيدِ مُذَالٍ<sup>(١)</sup>

وهو أحد من برعوا في الغزل ووصف الخمر ، وله فيهما أشعار كثيرة طارت في الدنيا وسارت بها الركبان من مثل قوله في الغزل :

مِهَاءٌ تَرْتَمِي الْأَلْبَا بَا عَنْ قَوْسٍ مِنَ السُّخْرِ  
لَهَا طَرْفٌ يَشُوبُ الْخَا مَرَّ لِلنَّدْمَانِ بِالْخَمْرِ  
عَفِيفٌ اللَّحْظِ وَالْإِغْضَا ءَ فِي الصَّخْرِ وَفِي السُّكْرِ

وقوله في الخمر :

وَعِذْرَاءٌ لَمْ تَفْتَرِعْهَا السُّقَاةُ وَلَا اسْتَامَهَا الشَّرْبُ فِي بَيْتِ حَانِ<sup>(٢)</sup>  
وَلَمْ تَزَلِ الشَّمْسُ مَشْغُولَةً بِصَنْعَتِهَا فِي بَطُونِ الدَّنَانِ  
تَرَشَّحَهَا لِأَثَامِ الرَّجَالِ إِلَى أَنْ تَصْدَى لَهَا السَّاقِبَانِ  
عَجُوزٍ غَدَا الْمِسْكَ أَصْدَاغَهَا مَضْمُخَةُ الْجَلْدِ بِالزَّغْفَرَانِ  
يَطُوفُ عَلَيْنَا بِهَا أَحْوَرٌ يَدَاهُ مِنَ الْكَأْسِ مَخْضُوبَتَانِ

وله في المشيب وبكاء الشباب كثير من الأشعار الرائعة التي يطرف فيها تارة بالصور والأخيلة البديعة ، وتارة بالمعاني التي تمس المشاعر والقلوب من مثل قوله :

(٢) استامها : ساوم على شرائها .

(١) مذال : طويل الدليل .

أبدى الزمانُ به ندوبَ عِضاضِ وري سوادَ قرونه ببياضٍ<sup>(١)</sup>  
وقوله :

خلع الصِّبا عن منكبيه مشيبُ وطوى الذوائبَ رأسه المخضوبُ  
نَشَرَ البلى في عارضيه عَقَارِباً بيضاً لهنَّ على القرون دَبِيبُ  
وقوله يذكر الشباب :

فهل لك يا عيشُ من رجعةٍ بأيامك المونقاتِ الحِسانِ  
وهيهات يا عيش من رجعةٍ بأغصانك المائلاتِ الدَّوانِي  
لقد صدع الشيبُ ما بيننا وبينك صدعَ الرِّداءِ الباني  
وعَمِيَ بأخرة من حياته ، فحزن حزناً عميقاً ، ومضى يرثى عينيه ويبكيهما  
بأبيات مؤثرة ، تصور التبايعه التبايعاً شديداً من مثل قوله :

يا نفسُ بكِّي بأدمعِ هُتَنِ وواكفِ كالجُمانِ في سَنَنِ<sup>(٢)</sup>  
على دليلي وقائدي ويدي ونور وجهي وسائسِ البدنِ  
أبكي عليها بها مخافةً أنْ تقرنني والظلامَ في قرَنِ

ولعل في ذلك كله ما يصور براعته في الشعر وكيف كان يحسن نسيجه نافذاً  
إلى كثير من دقائق المعاني ورائع الصور والأخيلة . ويقال إن بعض الغلمان قتله  
وهو عمَل بالخمرة سنة ١٩٦ للهجرة .

عبد الله<sup>(٣)</sup> بن أيوب التيمي

كان يُكَنَّى أبا محمد وهو من موالى بني تَيْمٍ ومن أهل الكوفة ، وقد تركها إلى  
بغداد طلباً لجوائز الخلفاء والوزراء والقواد ، وبها انعقدت صلة وثيقة بينه وبين

وأشعاره الأغاني (طبعة الساسي) ١١٥/١٨  
وأنظر ٣١/١٧ و ٤٥ والحويان ٥٠٥/٦  
والنجوم الزاهرة ١٨٩/٢ .

(١) الندوب : الكلوم والجراح .  
(٢) هُنَّ : غزيرة . واكف : سائل لا ينقطع .  
(٣) انظر في عبد الله بن أيوب وأخباره

إبراهيم الموصلي وابنه إسحق ، ثم اتصل بالرشيد والبرامكة ومدحهم جميعاً ونال جوائزهم ، ويقال إنه أخذ من يحيى البرمكي وبنه مائة ألف درهم ، وقد جلتى في حادثة مشهورة ، ذلك أن الرشيد هزم تقفور صاحب بيزنطة هزيمة ساحقة جعلته يركع على قدميه ويؤدى له الجزية التى افترضها صاغراً . ورجع الرشيد إلى الرقة ، فلما سقط الثلج وأمن تقفور أن يُغزى نقض الصلح المعقود ، وحرار وزراء الرشيد كيف يخبرونه ، ثم رأوا أن يخبره بذلك بعض الشعراء ، وسرعان ما دبّج التيمى قصيدة حماسية رائعة ضمّنها الخبر ، ودخل على الرشيد فأشدها بين يديه قائلاً :

نَقَضَ الَّذِي أَعْطَاكَ نَقْفُورُ      فَعَلِيهِ دَائِرَةُ الْبَوَارِ تَدُورُ  
أَبْشِرْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّهُ      فَتَحْ أَتَاكَ بِهِ الْإِلَهُ كَبِيرُ  
نَقْفُورُ ! إِنَّكَ حِينَ تَغْدُرُ أَنْ نَأَى      عَنْكَ الْإِمَامُ لَجَاهِلٌ مَغْرُورُ  
أَظَنَنْتَ حِينَ غَدَرْتَ أَنَّكَ مَفْلُتٌ      هَبْلَتَكَ أُمَّكَ مَا ظَنَنْتَ غُرُورُ  
أَبْقَاكَ حَيْثُكَ فِي زَوَاخِرِ بَحْرِهِ      فَطَمَتُ عَلَيْكَ مِنَ الْإِمَامِ بِحُورُ<sup>(١)</sup>

واهتر الرشيد طربا بشعره ونشّر عليه الدرر . وزحف بجيوشه حتى أتاه على هرقله ، فافتتحها عنوة ، وذلّ تقفور وذلّت الروم .

ويقول صاحب الأغاني إن التيمى اتصل بيزيد بن يزيد ، فلم يزل منقطعاً إليه حتى مات ، وليس بين أيدينا ما يصور مدائح له ، وقد بكى فيه بطولته وزياده عن حياض الدولة وفتكه بأعدائها فتكاً ذريعاً حين اختطفه الموت ، وفي ذلك يقول من مرثية رائعة تعد من أجود مرثى العصر :

أَحَقُّ أَنَّهُ أَوْدَى يَزِيدُ      تَبَيَّنَ أَيُّهَا النَّاعِي الْمَشِيدُ<sup>(٢)</sup>  
أَتَدْرِي مَنْ نَعِيَتْ وَكَيْفَ فَاهَتْ      بِهِ شَفَتَاكَ ؟ ! كَانِ بِكَ الصَّعِيدُ<sup>(٣)</sup>  
أَحَامِي الْمَجْدِ وَالْإِسْلَامِ أَوْدَى      فَمَا لِلْأَرْضِ وَيَحْكُ لَا تَمِيدُ<sup>(٤)</sup>  
تَأْمَلْ هَلْ تَرَى الْإِسْلَامَ مَالَتْ      دَعَائِمُهُ وَهَلْ شَابَ الْوَلِيدُ

(٣) الصعيد هنا : القبر .

(٤) تميد : تتحرك وتهتز .

(١) الحين : الموت والملاك .

(٢) أودى : مات .

وهل شِيمَتُ سَيْوْفُ بَنِي نِزَارِ  
 وهل وَضِعَتْ عَنِ الْخَيْلِ اللَّبُودُ<sup>(١)</sup>  
 وهل تَسْقَى الْبِلَادَ عِشَارُ مُزْنِ  
 بِدِرَّتِيهَا وَهَلْ يَخْضَرُ عَوْدُ<sup>(٢)</sup>  
 أَبْعَدَ يَزِيدَ تَخْتَزِنُ الْبُؤَاكِي  
 دُمُوعًا أَوْ تُصَانُ لَهَا خُدُودُ  
 وَمَنْ عَجِبَ قَصْدَنَ لَهُ الْمَنَايَا  
 عَلَى عَمْدٍ وَهَنَّ لَهُ جُنُودُ  
 لَقَدْ عَزَّى رِبِيعَةً أَنَّ يَوْمًا  
 عَلَيْهَا مِثْلَ يَوْمِكَ لَا يَعُودُ

ويقال إن الرشيد كان حين يسمع هذه المرثية في قائده يبكي بدموع غزار حتى لو كان بين يديه كأس للملأه بدموعه .

ونرى التيمى بعد عصر الرشيد يصل حباله بالأمين ويلجج معه في نقضه لعهد أخيه المأمون ، وله في ذلك قصيدة يقال إن الأمين أعطاها عليها مائة ألف درهم . ولما تطورت الحوادث وانتصر المأمون على أخيه أخذ ينقض ما صاغه في الأمين بمثل قوله :

نُصِرَ الْمَأْمُونُ عَبْدَ اللَّهِ  
 لَمَّا ظَلَمُوهُ  
 نَقَضُوا الْعَهْدَ الَّذِي كَانُوا  
 قَدِيمًا أَكَّدُوهُ  
 لَمْ يَعْامِلْهُ أَخُوهُ  
 بِالذِي أَوْصَى أَبُوهُ

وعفا عنه المأمون ووصله ، واتصل بقواده ووزرائه من مثل طاهر بن الحسين والفضل بن سهل ، وفيه يقول<sup>(٣)</sup> :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَشْرَافُ فِي كُلِّ بَلَدٍ  
 وَإِنْ عَظَمُوا إِلَّا لِفَضْلِ صَنَائِعُ  
 تَرَى عَظَمَاءَ النَّاسِ لِلْفَضْلِ خُشَعًا  
 إِذَا مَا دَنَا وَالْفَضْلُ لِلَّهِ خَاشِعُ  
 وَهُوَ يُعَدُّ فِي الْخُلَعَاءِ الْمَجَّانَ ،  
 غَيْرَ أَنَّ أَشْعَارَهُ فِي الْخَمْرِ مَتَوَسِّطَةٌ ،  
 وَيُظْهِرُ أَنَّهُ كَفَّ عَنْهَا بِأَخْرَجَةٍ مِنْ حَيَاتِهِ ،  
 وَحَسَنَتْ سِيرَتَهُ ، وَحَسَّنَ إِيمَانَهُ ،  
 يَشْهَدُ لِذَلِكَ مِثْلَ قَوْلِهِ :

(١) شيمت السيوف : أهدت .  
 (٢) المزن : السحب . والعشار : جمع عشراء وأصلها الناقة على وشك أن تلد ، يريد المزن المحملة بالأمطار ، الدرّة : أصلها كثرة اللبن ويريد المطر الغزير .  
 (٣) قارن الوزراء والكتاب الجيهشباري ص ٣٢٠ بالأغانى ١٨ / ١٩٩ حيث ذكر أبو الفرج أن البيهقي في مديح الفضل بن الربيع .

لا تخضعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ فإنَّ ذاك مُضِرٌّ منك بالدينِ  
وارغبِ إلى الله مما في خزائنه فإنما هو بين الكاف والنون  
وواضح أنه كان شديد أسر الشعر ، وأنه كان يعرف كيف يصطفي اللفظ ،  
سواء أراد الأسلوب الجزل الرصين أو الأسلوب العذب الرقيق . وقد توفي سنة ٢٠٩ للهجرة .

### على<sup>(١)</sup> بن جببلة

اشتهر بلقبه العكوك ، ومعناه القصير السمين ، وهو من أبناء شيعة العباسيين  
الخراسانيين ، وُلد سنة ١٦٠ للهجرة بحجى الحربية في بغداد ، وكان ضريراً ،  
وفي بعض الروايات أنه وُلد أكمه لا يبصر ، وفي روايات أخرى أنه فقد بصره في  
صباه . وجعلته هذه العاهة يتجه إلى الدرس والتعلم ورواية الشعر وحفظه ، وسرعان  
ما استبانت فيه موهبته الشعرية ، فأخذ ينظم الشعر متكسباً به . ولم تطمح نفسه  
إلى مديح الخلفاء ، وإن كان يقال إنه مدح المأمون ، ولكن على كل حال ليس  
بين أيدينا شيء من هذا المديح . ونراه يمدح وزيره الحسن بن سهل بمثل قوله :

أعطيتني يا وليَّ الحق مبتدئاً عطيةً كافاتٌ مدحى ولم ترفى  
ما شئتُ برِّفك حتى نلتُ ريقه كأنما كنتُ بالجدوى تبادرنى<sup>(٢)</sup>

وأهم ممدوحه حميد بن عبد الحميد الطوسي وأبو دلف العجلي ، وله في  
أولهما قصيدتان يقال إنه أعطاه في كل منهما مائة ألف درهم ، وقد أنشده أولاهما  
في يوم عيد والثانية في يوم نيروز ، وفيها يقول :

حميدُ ياقاسم الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النكث والدينِ

الهميان للصفدي ص ٢٠٩ و امرأة الجنان لليافعي  
٥٣/٢ وشذرات الذهب ٣٠/٢ و رقيات الأعيان  
لابن خلكان .  
(٢) شام البرق : نظر إليه أين يتجه . والريق :  
أول الفيث . الجدوى : العطاء .

(١) انظر في على بن جبلة وأخباره وأشعاره  
أبن قتيبة ص ٨٤٠ وابن المعتز ص ١٧١ ،  
٤٣٣ والأغانى (طبع السامى) ١٠٠/١٨  
وكتاب الورقة لابن الجراح (طبع دار المعارف)  
ص ١٠٦ وتاريخ بغداد ٣٥٩/١١ ونكت

أنت الزمان الذي يعجى تصرفه على الأنام بتشديدٍ وتلينٍ  
لو لم تكن كانت الأيام قد فنيت بالمكرمات ومات المجد مُذ حين  
صورك الله من مجدٍ ومن كرمٍ وصور الناس من ماءٍ ومن طين  
وله فيه مدائح كثيرة ، ومن بديعٍ مديحه فيه قوله وكان يلقب بأبي غانم كناية  
عن بطولاته وانتصاراته المدوية في الحروب :

دِجْلَةٌ تَسْقَى وَأَبُو غَانِمٍ يُطْعَمُ مَنْ تَسْقَى مِنَ النَّاسِ  
وَالنَّاسُ جِسْمٌ وَإِمَامُ الْهُدَى رَأْسٌ وَأَنْتَ الْعَيْنُ فِي الرَّأْسِ  
وقوله :

إِنَّمَا الدُّنْيَا حُمَيْدٌ وَأَيَادِيهِ الْجِسَامُ  
فَإِذَا وَلَّى حُمَيْدٌ فَعَلَى الدُّنْيَا السَّلَامُ

وعثر القدر بمحمد بن حميد في حروبه مع بابك ، فخرَّ صريعاً في ساحة  
البطولة والجهاد لأول سنة ٢١٤ للهجرة ووجدت عليه بغداد والعالم الإسلامي وجداً  
شديداً ، وراثه أبو تمام بمراثٍ رائعة عرضنا لها في حديثنا عنه ، ولعلى بن جبلة مرثية  
بديعة فيه ويقال بل هي في أبيه حميد ، ويقول أبو الفرج إن البحري وأبا تمام  
سلخا في مرثيتهما أكثر معانيها وفيها يقول :

أَللَّهِرِ تَبْكِي أُمَ عَلَى الدَّهْرِ تَجَزَعُ وَمَا صَاحِبُ الأَيَامِ إِلا مَفْجَعُ  
أَصَبْنَا بِيوْمٍ فِي حُمَيْدٍ لَوْ أَنَّهُ أَصَابَ عَرُوشَ الدَّهْرِ ظَلَّتْ تَضَعُضِعُ  
وَكُنْتُ أَرَاهُ كَالرِّزَايَا رُزِئَتْهُا وَلَمْ أَدْرُ أَنْ الخَلْقَ تَبْكِيهِ أَجْمَعُ  
نَعَاءُ حَمِيدًا لِلسَّرَايَا إِذْ غَدَتْ تُذَادُ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ وَتَوَزَعُ<sup>(١)</sup>  
كَأَنَّ حَمِيدًا لَمْ يَقْدِ جَيْشَ عَسْكَرٍ إِلَى عَسْكَرِ أَشْيَاعِهِ لَا تَرَوِّعُ  
وَلَمْ يَبْعَثِ الخَيْلَ المَغِيرَةَ بِالنُّضْحَى مِرَاحًا وَلَمْ يَرْجِعْ بِهَا وَهَى ظُلْمُ<sup>(٢)</sup>

(٢) ظلم : من الظلم وهو العرج .

(١) نعاء : اسم فعل أمر من نعى . توزع : تكفت .

رواجع يحملنَ النَّهَابَ ولم تكن كتائبه إلا على النهب ترجعُ  
هوى جَبَل الدنيا المنيعُ وَعَيْشُهَا الـ مَرِيحٌ وحاميتها الكميُّ المشيعُ<sup>(١)</sup>

واستنفد أبو دلف بعطاياه السنية أكثر مدائحه حتى لم يكذب يبق فيه شيئاً  
لغيره ، إلا ما كان من حميد الطوسي ، ومدائحه فيه أبدع وأروع ، وقد طار  
منها كثير على كل لسان من مثل قوله فيه :

ملكٌ تَنَدَى أَناملُهُ كانبلاجِ النَّوَى عن مَطْرَةٍ<sup>(٢)</sup>  
مُسْتَهْلٌ عن مواهبِهِ كابتسامِ الرُّوضِ عن زَهْرَةٍ  
إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بين مَغْزَاهِ وَمُحْتَضِرِهِ<sup>(٣)</sup>  
فإذا ولى أبو دلف وُلَّتِ الدُّنْيَا على أثرِهِ

وقوله وقد أسرف في المبالغة :

أنت الذي تُنزلُ الأيَّامَ منزلها وتنقل الدَّهْرَ من حالٍ إلى حالٍ  
وما مددتَ مَدَى طَرْفٍ إلى أَحَدٍ إلا قضيتَ بأرزاقِ وآجالِ

ويقال إنه كان يثير المأمون بمثل هذا الشعر في أبي دلف وشعره الآخر في ابن  
حميد ، فطلبه وهرب منه إلى الجزيرة ، وحُمِلَ إليه فأمر بإخراج لسانه من قفاه  
ثم قتله . وقد رفض ابن المعتز وأبو الفرج هذه الرواية الكاذبة على المأمون المعروف  
باتساع أفقه وساحة نفسه وكرم سجاياه ، وقالوا إنه مات حتف أنفه . وقال بعض  
من ترجموا له إنه مات سنة ٢١٣ وفي أخباره أنه رحل إلى عبد الله بن طاهر  
في ولايته على خراسان ومدحه فأجزل صلته واستأذنه في الرجوع ، فسأله أن يقيم  
واتصل برُّه به ، فلما طال مقامه اشتاق إلى أهله ، فدخل إليه وأنشده من قصيدة  
مستأذنا في القبول إلى موطنه :

ملكٌ عَزَمَهُ الزَّمَانُ نُنُ وَأَفْعَالُهُ الدُّوَلُ

(١) المريح : الحصيبي . الكمي : الشجاع . (٢) النو : نجوم تظهر قبل المطر .

لَيْتَهُ حِينَ جَادَ لِي بِالْغِنَى جَادَ بِالْقَفْلِ

وأذن له مغدقا عليه من نواله. وعبد الله بن طاهر إنما أقام في خراسان منذ سنة ٢١٤. وفي ذلك دليل على أن وفاة علي بن جبلة تأخرت على الأقل إلى هذه السنة، وواضح أنه كان يجيد المديح إلى أبعد حد، وكان يعرف كيف يتصرف بمعانيه، مع الألفاظ الرشيقة العذبة، ومن طريف معانيه قوله:

يَأْسُو الَّذِي يَجْرَحُ أَعْدَاؤَهُ وَمَا لَمَّا يَجْرَحُهُ آسِ  
وقوله:

كَأَنَّهُم وَالرَّمَاحُ شَابِكَةٌ أَسَدٌ عَلَيْهَا أَظْلَمَتِ الْأَجْمُ  
وقوله في مديح أبي دلف:

لَهُ هِمَمٌ لَا مَنْتَهَى لِكِبَارِهَا وَهَمَّتْهُ الصَّغْرَى أَجْلٌ مِنَ الدَّهْرِ  
ولعل في كل ما قدمنا ما يصور براعته في صنع الشعر وأنه كان يعتمد إلى لغة سهلة عذبة موقنة، ودفعه مزاجه الفارسي الحاد إلى الإكثار من المبالغة في نعت ممدوحه، حتى ليفرط في ذلك إفراطاً شديداً.

### الْخُرَيْمِيُّ

هو أبو يعقوب إسحق بن حسان بن قوهي الخُرَيْمِيُّ، من صُغَدِ التُّرْكِ من مرو، وهو جزري نزل بغداد، وكان له ولاء في غطفان جعله يلزم عثمان بن خُرَيْمِ المُرِّي الغطفاني في ولايته على أرمينية، وظلَّ وقيماً له، فنُسب إليه، وفيه يقول:

جَزَى اللَّهُ عُمَانَ الْخُرَيْمِيَّ خَيْرَ مَا جَزَى صَاحِبًا جَزَلَ الْمَوَاهِبَ مُفْضِلاً

واحيوان الجاحظ وكذلك الطبري ٤٥٨/٦ و٥٢/٧ والكامل للمبرد (طبعة ليبسك) ص ٧٠٣ ومعجم البلدان ٣٦٣/٥ وكتاب الورقة لابن الجراح ص ١٠٢.

(١) انظر في الخُرَيْمِيِّ وأخباره وأشعاره ابن المعتز ص ٢٩٣ وابن قنينة ص ٨٢٩ وتاريخ بغداد ٣٢٦/٦ وزهر الآداب ٢٠١/٤ وفهارس الوزراء والكتاب للجيشياري والبيان والتبيين

كفى جَفْوَةً الإخوان طول حياته وأورث مما كان أعطى وخَوَّلاً<sup>(١)</sup>  
 وفي أخباره ما يدل على أنه كان يكثر من الاختلاف في بغداد إلى مجالس  
 الأدب ، ويظهر أيضاً أنه كان يختلف إلى مجالس المتكلمين إذ يكثر الجاحظ  
 في بيانه من النقل عنه . وقد تألق نجمه في عصر الرشيد والبرامكة ، وفيه يقول ابن  
 المعتز : « كان يمدح الخلفاء والوزراء والأشراف فيُعْطَى الكثير » ، ومن شعره في  
 يحيى البرمكي :

يا راعيَ السلطان غير مفرطٍ في لين مختبِطٍ وطيب شام<sup>(٢)</sup>  
 حتى تنخنخ ضارباً بجرانه ورستَ مراسيه بدار سلام<sup>(٣)</sup>

وأكثر مدائحهم في صاحبه عثمان المري وفي محمد بن منصور بن زياد كاتب  
 البرامكة الملقب بفتى العسكر لقيامه على ديوان الجيش ، وفيه يقول :

زاد معروفك عندي عظماً أنه عندك مستورٌ حقيرٌ  
 تتناسأه كأن لم تأتبه وهو عند الناس مشهورٌ خطيرٌ

ويظهر أن صلة وثيقة انعقدت بينه وبين الحسن بن البَحْبَاحِ البَلْخِيّ كاتب  
 الفضل بن يحيى البرمكي ، إذ نراه يكتب له قصيدة بديعة حين ولي مصر للرشيد  
 سنة ١٩٣ يعبر فيها عن شدة شوقه إليه ، ومدى ما كان يتوقئ بينهما من مودة  
 وصدقة ، وفيها يقول :

إلى صاحبٍ لا يُخلقُ النَّأىَ عهدهُ  
 هو الشهدُ سلماً والدُّعافُ عداوةً  
 لناه ولا يَشْقَى به من يُصاقِبُهُ<sup>(٤)</sup>  
 وبحرٌ على الوُرَادِ تجرى غواربه<sup>(٥)</sup>  
 وتمتُّ أياديه وجَمَّتْ مناقبه<sup>(٦)</sup>  
 نوازعُ شوقٍ ما تُردُّ عَوازبه<sup>(٧)</sup>  
 فيا حسنَ الحُسنِ الذي عمَّ فضله  
 إليك على بُعْدِ المزارِ وصعبه

استقر واستقام .

(٤) يخلق : يبلى . يصاقبه : يجاوره .

(٥) غواربه : أعالي موجه .

(٦) جمت : كثرت .

(٧) عوازبه : جمع عازب وهو البعيد .

(١) خول : أنعم .

(٢) مختبِط : من اختبطه إذا سأله بدون

قراءة أو معرفة . شام : دنو وقرب .

(٣) تنخنخ : من تنخنخ البعير إذا برك وجثم

على الأرض . الجران : عنقه . وضرب بجرانه :

فهل يرجعن عيشي وعيشك مرةً ببغداد دهرٌ منصفٌ لا نعاتبه  
 عسى ولعل الله يجمع بيننا كما لا تمت صدع الإناء مشاعبه  
 ومن مدحهم المأمون وأبو دلف قائده ، وكان أبو دلف شاعراً بليغاً محكم  
 القول ، ولعل ذلك ما جعله يصف شعره له في بعض مدحيه بقوله :

له كليمٌ فيك معقولةٌ إزاء القلوب كركبٍ وقوفٌ

وهو تصوير دقيق . ولاحظ بعض معاصريه أن مدائحه التي دبجها في ممدوحه  
 أحسن من مرثيهم فيهم وأجود ، وسأله في ذلك ، فقال : كنا يومئذ نعمل على  
 الرجاء ، ونحن اليوم نعمل على الوفاء وبينهما بون بعيد ! ومن بديع رثائه قوله :

وأعددت ذُخراً لكل مصيبةٍ وسهّم المنايا بالذخائر مولعٌ  
 ولو شئت أن أبكى دمًا لبكيتيه عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

وله في بغداد حين رماها طاهر بن الحسين بالمجانيق في فتنة الأمين ، فأحرق  
 كثيراً من قصورها ، وهدم بعض أحيائها ، مرثية طويلة امتدت إلى مائة وخمسة  
 وثلاثين بيتاً ، بكأها فيها ، وندبها نديباً حاراً ، موازناً ماضيها وحاضرها  
 ومصوراً ما كان فيها من مجون وإثم وما صارت إليه أحيائها من هذا الدمار الذي  
 صبه الله عليها جزاء طغيانها وفسوقها ، وفيها يقول :

يا بؤس بغدادَ دار مملكةٍ دارتُ على أهلها دوائرُها  
 أمهلها الله ثم عاقبها لما أحاطت بها كبائرُها  
 رَقَّ بها الدين واستُخِفَّ بذيها فضلٌ وعزُّ النُساك فاجرُها  
 وصار ربُّ الجبران فاسقهُم وابتنزُ أمرَ الدروب شاطرُها

وهو في القصيدة ينتصر للمأمون . وزراه يتعرض بالهجاء إلى أبي دلف العجلى .  
 ويظهر أنه لم يثبه بما كان يبتغيه منه ، فتحول يهجو به بمثل قوله :

إني وجدت أخي أبادلف عند الفُعال مولد الشرفِ

ومن تولع بهجائهم على بن الهيثم أحد كتاب الدواوين ، وكان يتقعر في كلامه ، حتى ليؤذى من مجالسونه بكثرة ما يورد عليهم من غريب ، وله يقول :

لا تشادقَ إذا تكلمتَ واعلمُ أن للناس كلهم أشدّاقا  
وحدث في أثناء رفته لعثمان بن خريم في ولايته على أرمينية أن عقد له في بعض حروبه للترك على أشراف من معه ، فكرهوا ذلك ، وما زالوا به ، حتى عزله ، وأثاره هذا الحادث ، فنظم قصيدة فخر فيها بأبائه من الصغد ، وفيها يقول :

أيسالُ الصغدِ بئس إذ تُعيرني جُمْلُ سَفَاهاً ومن أخلاق جارقِ الجهلِ  
فإن تفخرى يا جُمْلُ أو تتجملِ فلا فخر إلا فوقه الدينُ والعقلُ  
أرى الناسَ شرعاً في الحياة ولا يرى لقبرٍ على قبرٍ علاءٌ ولا فضلٌ<sup>(١)</sup>  
وما ضررتني أن لم تلِدني يُحابرٌ ولم تستعمل جرمٌ عليّ ولا عكُلٌ<sup>(٢)</sup>

وقد سلكه بعض الباحثين من العرب والمستشرقين في أصحاب نظرية الشعوية لجريان هذا الفخر على لسانه ، وهو لا يستمد فيه من شعوية ، إنما يستمد من نظرية الإسلام التي تسوى بين الناس عرباً وموالى ، فلا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى . وفي أشعاره ما يدل على حسن تدبّنه وأنه لم يغمس فيها انغمس فيه بعض معاصريه من مجون أو زندقة يقول داعياً إلى الزهد والتقوى والعمل الصالح :

تزوّد من الدنيا متاعاً لغيرها فقد شمّرتَ حدّاءً وانصرمَ الحَبْلُ<sup>(٣)</sup>  
وهل أنت إلا هامةُ اليوم أو غدٍ لكل أناسٍ من طوارقِها الشُّكْلُ  
وفي الأغاني بترجمة حماد الراوية خبر يدل على معاشرته للمجان ، ولعله مكذوب ، لتأخر عصره عن عصر حماد ، وقد رويت له أشعار قليلة في الغزل ، وقيل إن أول ما نظمه قوله :

بقلبي سقامٌ لست أحسن وضمّفه على أنه ما كان فهو شديدُ  
تمرُّ به الأيامُ تسحب ذيلها فتبلى به الأيامُ وهو جديدُ

(٢) يحابر ويجرم وعكل : قبائل عربية .  
(٣) حداء : سرية الإديار .

(١) شرعاً : مساوين لأفضل لأحدهم على الآخر .

ونرى القدماء يلقبونه تارة بالأعور وتارة بالأعمى ، ويظهر أنه فقد إحدى عينيه  
مبكراً ، ثم فقد الأخرى بعد ما أسنَّ ، وله أشعار كثيرة ، يبكى فيها عينه وبصره ،  
أنشدنا منها قطعة في الفصل الرابع ، ومن طريف ما نسوقه له هنا قوله :

إذا ما مات بَعْضُكَ فابكِ بعضاً      فإن البعض من بعض قريب  
يَمْنِي الطيبُ شفاء عَيْني      وهل غيرُ الإله لها طبيب  
وقوله :

كفى حزناً أن لا أزورَ أَحَبَّتي      من القرب إلا بالتكلف والجهد  
وأنى إذا حُيِّت ناجيتُ قائدى      ليعدلنى قبل الإجابة فى الردِّ  
وفى أشعاره نزعة واضحة إلى التدقيق فى المعانى ، وهو تدقيق أداه إلى الوقوف  
عند الطباع وتحليلها تسعفه فى ذلك ملاحظات نافذة وقدرة على النظرة الكلية فى  
الأشياء ، ومن خير ما يمثل ذلك عنده قوله :

الناس أخلاقهم شتى وإن جُبلوا      على تشابه أرواح وأجساد  
للخير والشر أهلٌ وكلوا بهما      كلُّ له من دواعى نفسه هادٍ  
وقوله :

ودون الندى فى كلِّ قلبٍ ثنيةٌ      لها مَصْعَدٌ حَزَنٌ ومنحدرٌ سهْلٌ  
وودُّ الفتى فى كلِّ نَيْلٍ يُنِيلُهُ      إذا ما انقضى لو أن نائِلُهُ جَزَلٌ

ونراه يصور الكرم تصويراً بديعاً ، إذ يجعله فى بَشْرِ المضيف وحسن استقباله  
لا فى طعامه وكثرة ذبائحه ، يقول :

أضاحكُ ضيقتى قبل إنزال رَحْلِهِ      ويُنْصِبُ عندى والمحلُّ جَدِيبٌ  
وما الخِصْبُ للأضياف أن يكثر القَرَى      ولكننا وَجْهُ الكريمِ خِصِيبٌ  
وما يجرى هذا المجرى من دقة التفكير وطرافته قوله السائر فى الآفاق :

ولستُ بنظَّارٍ إلى جانبِ الغنى      إذا كانتِ العليا فى جانبِ الفقرِ

وواضح أن اللفظ البارع كان يسند دائماً معانيه وأشعاره ، فلا تجد فيه عرجاً ولا انحرافاً ، بل تجد دائماً المتانة والسهولة ، ويروى أنه سُئِلَ : ما بال شعرك لا يسمعه أحد إلا استحسنته وقبلته طبيعته ؟ قال : لأنني أجادب الكلام إلى أن يساهلني عفواً ، فإذا سمعه إنسان سهل عليه استحسانه . وقد توفي سنة ٢١٤ للهجرة .

## ٥

## شعراء المهجاء

مرّ بنا في غير هذا الموضع أن شعر المهجاء المنبعث عن العصبية القبلية خضت حدّته في هذا العصر ، حتى كاد يتلاشى ، إلا بقايا قليلة تمثلت في نقائض ابن قنبر ومسلم بن الوليد ، كما تمثلت في نقائض دعبل وأبي سعد المخزومي ، ومرجع ذلك إلى تطور واسع في الحياة ، جعل الفخر الجنسي يحل محل الفخر القبلي ، مما دفع إلى ظهور الشعوبية ، وحقاً بقيت أسراب من هذا الفخر عند القبائل ومواليها ، على نحو ما نجد عند بكر بن النطاح الحنفي في مثل قوله مفتخراً بقبيلته بكر (١) :

وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنَّا يَعْشُ بِحَسَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلِ  
وكان أبو نواس — كما مرّ بنا — يفتخر بمواليه القحطانيين افتخاراً حاداً ، ولكن الدولة كانت له وليكر وأمثالهما بالمرصاد فقد حبس الرشيد أبا نواس بسبب إحيائه لهذه العصبية ، وطلب بكرأ وهرب منه . وعلى هذا النحو لم تعد تحتدم العصبية وبالتالي خبّبت نار النقائض التي كانت مشتعلة في عصر بني أمية . وليس معنى ذلك أن المهجاء انطفأ هيبه ، بل لقد تعالت نيرانه واضطربت اضطراباً ، إذ ظل الشعراء يسارعون إليه كلما حجبتهم وزير أو وال أو قائد أو قصر في عطايتهم ، وقد يهجون بعض الخلفاء على نحو ما أسلفنا عند دعبل . وهو جانب أوسع من أن يستقصى لكثرة ما قيل فيه من أشعار ، ولذلك سنكتفي هنا بالحديث عن تهاجي الشعراء بعضهم مع بعض ، وقد ذكرنا قبلاً تهاجي حماد عجرد وبشار

(١) ابن المعتز ص ٢١٧ وما بعدها والأغاني.

(٢) (طبعة الساس) ١٧/١٥٤.

وكانت في حماد رعونة شديدة جعلته يتبادل الهجاء حتى مع أصدقائه مثل مطيع بن إلياس ، وكان مبعث تهاجيهما تنافسهما على بعض القيان . ولعل شاعراً لم يهتج في هذا العصر كما هُجى أبان بن عبد الحميد ، وقد عرضنا لتهاجيه مع أبي نواس ، ومن أكثر من تبادل الهجاء معه المعدل بن غيلان ، وفيه يقول (١) :

صَحَّفْتُ أُمَّكَ إِذْ سَمَّيْتُكَ بِالْمَهْدِ أَبَانَا  
 قَدْ عَلِمْنَا مَا أَرَادَتْ لَمْ تُرِدْ إِلَّا أَتَانَا  
 صَيَّرْتُ بَاءَ مَكَانِ التَّاءِ وَاللَّهِ عِيَانَا  
 قَطَعَ اللَّهُ وَشِيكََا مِنْ مَسْمِيكَ اللُّسَانَا

وكان أبو نواس كثير التعابث فأكثر من هجاء زملائه ، وسلقوه بالسنة حداد ، وفي مقدمتهم الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، وكان كثيراً ما يهجوهم بأنه ليس عربياً وأنه دعى في ولاته لبني سعد العشيرة القحطانيين ، مما جعله يرد عليه بمثل قوله (٢) .

وجدنا الفضل أبعد من رقاش من الأثنى أدعت فيها الفيوئ  
 وجدنا الفضل أكرم من رقاش لأن الفضل مولاه الرسول  
 يشير بذلك إلى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « أنا مولى من لا مولى له » .  
 قد مر بنا تهاجي أبي العتاهية ووالبة ، وكيف انتصر عليه أبو العتاهية انتصاراً حاسماً حتى فر منه راجعاً إلى الكوفة وخمل ذكره . واصطدم أبو العتاهية بسلم الخاسر ، فتبادلا الهجاء على نحو ما صورنا ذلك في ترجمتنا لأولهما ، وكان سلم يرميه بأنه كاذب في زهده ويرميه أبو العتاهية بشُح نفسه وما يجره ذلك عليه من الذل . ومن اصطدم به مروان بن أبي حفصة وأبو الشمقمق وشاعر يسمى الجنبيّ وله يقول (٣) :

غَدَا اللُّؤْمُ يَبْغِي مَطْرَحًا لِرِحَالِهِ فَتَنْقُبُ فِي بَرِّ الْبِلَادِ فِي الْبَحْرِ

(٣) أغاني ١٠/٩٢ وما بعدها .

(١) أغاني (طبعة دار الكتب) ١٣/٢٢٧ .

(٢) ديوان أبي نواس . وأغاني (سائي) ١٥/٣٤ .

فلما أتى مروانَ حَيِّمَ عنده وقال رضيْنَا بالمقام إلى الحَشْرِ  
 وليستْ لمروانِ على العرْسِ غَيْرَةٌ ولكنَّ مروانًا يغار على القِدْرِ  
 وكان دعبِل كثير الهجاء لكل من يظن أنه ارتفع على مرتبته من الشعراء حتى  
 أستاذه مسلم بن الوليد لم يسلم منه ، وربما كان أهمُّ شاعر حسده أبا تمام ، حتى  
 كان لا يكتفى بهجائه ، بل يدعى عليه أنه سرق قصائد برمتها من الشعراء السابقين  
 وفيه يقول<sup>(١)</sup> :

أدعبِلُ إن تطاولتِ الليالي عليك فإن شعري سمُّ ساعه  
 وما وفد المشيبُ عليك إلا بأخلاق الدناءةِ والوضاعه  
 ووجهك إن رضيت به نديماً فأنت نسيجُ وحدك في الرقاعه  
 ولو بُدلتَه وجهاً بوجه لما صلَّيت يوماً في جماعه  
 وكانت صلواتُ أبي تمام في كل بيته ينزل بها سبباً في كثرة من هجوه ، وقد  
 صورنا ذلك من بعض الوجوه في حديثنا عنه . ونحن نخص بالحديث هجاءين  
 كبيرين هما أبو عيْنَةَ المهلبي وعبد الصمد بن المعدل .

### أبو عيْنَةَ<sup>(٢)</sup> المهلبي

هو أبو عيْنَةَ بن محمد بن أبي عيْنَةَ ، من سلالة المهلب بن أبي صفرة ،  
 مولده ومنتشؤه وحياته في البصرة ، إذ لم يفارقها إلا لماماً ، وكان أبوه يولّي الري لأبي  
 جعفر المنصور ، ثم قبض عليه وحبسه وغرّمه . وكان لأبي عيْنَةَ أخوان شاعران  
 هما عبد الله وداود ، ومن الغريب أنهم جميعاً كانوا هجائين ، أما عبد الله فقصد  
 ابن طاهر ومدحه ، ثم هجاه هجاء مرّاً ، وأما داود فتعلق بهجاء آل سليمان بن  
 علي وإلى البصرة ، وقد تولاها من أبنائه غير واحد ، وفيهم يقول :

قومٌ إذا أكلوا أخضوا كلامهم واستوثقوا من رتاج الباب في الدارِ

ص ٢٨٨ وابن قتيبة ص ٨٤٧ وما بعدها والأغانى  
 (طبعة الساسي) ١١/١٨ وما بعدها .

(١) أغانى (طبعة الساسي) ٣٤/١٨ .  
 (٢) انظر في أثمار أبي عيْنَةَ وأخباره ابن المعتز

لا يَقْبِسُ الجارُ منهم فَضْلَ نارهمُ ولا تكفُ يدٌ عن حُرْمَةِ النجارِ  
 وأبو عيينة أشعر الثلاثة ، ويقول ابن المعتز إنه « أحد المطبوعين الذين لم يُرَ في  
 الجاهلية والإسلام أطبع منهم ، وهم بِشَّارٌ وأبو العتاهية والسيد الحميري وأبو عيينة » .  
 وقد استغل موهبته في فنين هما الهجاء والغزل ، وأكثر هجائه في ابن عمه خالد  
 ابن يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب إذ صحبه معه في جنده حين توجه إلى  
 جرجان والياً عليها للمهدى وكان خالد قد أوسع له في الأمانى وأنه سيغدق عليه  
 ويوليه بعض الولايات ، ولما نزل جرجان جفاه وتكبر له ، فبسط لسانه فيه وذكره  
 بكل قبيح عند أهل عمله ووجوه رعيته . وعبثاً حاول أبو عيينة أن يتخلص منه ومن  
 الجندية ، فشكاه إلى الهادي وكان قد ولي الخلافة بعد أبيه ، فأمر له بصلته وأقفله  
 من جيش خالد ، فعاد وهو يهتف بهجائه ، وأكثر منه كثرة تدل على قوة طبعه  
 وخصبه ، ومن قوله فيه :

لقد خَزَيْتُ قحطان طراً بخالدٍ      فهل لك فيه - يُخزِكَ اللهُ - يا مُضَرُّ  
 دنىء به عن كل خيرٍ بِلادَةٍ      لكلِّ قبيحٍ عن ذراعيه قد حَسَرُّ  
 له منظرٌ يُعمى العيون سِجاجةً      وإن يُخْتَبَرُ يوماً فيا سوءَ مُخْتَبَرُ  
 أبوك لنا غَيْثٌ نَعيشُ بِوَيْلِهِ      وأنت جرادٌ ليس يبتى ولا يَنْدُرُ  
 له أثرٌ في المكرمات يسرُّنا      وأنت تعفَى دائماً ذلك الأثرُ  
 تسيءُ وتمضى في الإساءة دائماً      فلا أنت تستحي ولا أنت تعتذر

ويقال إن الرشيد أنشد البيت الأول ، فقال : بل الخزى موفرٌ على قحطان .  
 وقد عرف كيف يخزه وخز الإبر لا بما صور فيه خزيه الذي عمَّ به عشيرته وأخلاقه  
 السيئة وغباوته ، بل أيضاً بموازنته بينه وبين أبيه جامعاً في البيت الواحد بين المديح  
 والهجاء . وهو يكثر في هجائه من الاستخفاف به والسخرية سخرية شديدة ، مع  
 الإقذاع ومع الغمز واللمز ، ومن طريف ماله فيه قوله :

خالدٌ لولا أبوهُ كان والكلبُ سواءً  
 لو كما ينقصُ يزدا دُ إذن نال السماء

وقوله :

وإذا تطاولت الرُّمُو سُ فَعَطَّ. رأسك ثم طَاطِة

ويروى أنه<sup>(١)</sup> قصد ابن عمه ربيعة بن قبيصة بن روح بن حاتم المهلبى واستأخه فلم يجد عنده ما قدره فيه ، فولّى عنه مغاضبا وعرف ذلك داود بن يزيد بن حاتم ابن قبيصة المهلبى ، فترضاه بصلة سنية جعلته يمدحه مدحا رائعا هاجيا فى تضاعيفه قبيصة هجاء كله سموم من مثل قوله :

داوُدُ محمودٌ وأنت مُدْمَمٌ عَجِبًا لَدَاكَ وَأَنْتَا مِنْ عَوِدِ  
وَلرُبَّ عَوِدٍ قَدْ يُشَقُّ ، لِمَسْجِدِ نَصَفٌ ، وَسَائِرُهُ لِحُشِّ يَهُودِ  
فَالْحُشُّ أَنْتَ لَهُ وَذَاكَ لِمَسْجِدِ كَم بَيْنَ مَوْضِعِ مَسْلَحٍ وَسَجُودِ  
دَاوُدَ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ بِتَدَى يَدَيْهِ وَأَنْتَ قُفْلُ حَلِيدِ

وكأنما كان موكلا بهجاء أبناء أعمامه ، وأيضا بناتهم ، فقد روى صاحب الأغاني أن ابن عمه سعيد بن المهلب تزوج بنت سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ، وكانت قد تزوجت قبله رجلين ماتا عنها ، فكتب أبو عيينة إليه ، يعنّفه على اختيارها لها وأنه إنما اختارها بسبب مالها ، يقول :

رَأَيْتَ أَثَاثَهَا فَطَمَعْتَ فِيهِ وَكَمْ نَصَبْتُ لغيرِكَ مِنْ أَثَاثِ  
فَصَيَّرُ أَمْرَهَا بِيَدَى أَبِيهَا وَسَرَّحُ مِنْ حِيَالِكَ بِالثَّلَاثِ<sup>(٢)</sup>  
وإلا فالسلامُ عليك منى سَأَبْدَأُ مِنْ غَدٍ لَكَ بِالْمَرَاثِ

وكانت فاطمة بنت عمه عمر بن حفص المهلبى قد شغفته حباً ، وتصادف أن اقترنت بعبسى بن سليمان بن على العباسى ، فكاد يُجَنُّ جنونه ويطيّر صوابه ، وظل يدور حولها وينظم فيها أشعاره ، غير أنه كان يخشى زوجها وآله ، فعمد إلى التكنية عنها بجملة لها تسمى دنيا ، وفى ذلك يقول :

وكتمتُ اسمها حِذَارًا مِنَ النَّاسِ وَمِنْ شَرِّهِمْ وَفَى النَّاسِ شَرٌّ

(١) نسب أبو الفرج الخبر إلى عبد الله ، ولكن ابن المعتز نسب الشعر المصاحب له إلى

أخيه أبى عيينة ، مما يدل على أنه صاحب الخبر .  
(٢) سرح : طلق .

ويقولون بِيْحٌ لَنَا بِاسْمِ دُنْيَا      واسمُ دُنْيَا سِرٌّ عَلَى النَّاسِ ذُخْرٌ  
وهو يكثر في أشعاره لها من تصوير ذكرياته معها ، وزياراته ، التي كانت  
متصلة لها قبل زواجها وكيف كانت تبادلُهُ وُدًّا بودٍ وحبًّا بحب ، وكيف كانا  
يُجتمعان في قصرها الفخم وما حوله من رياض رائعة ، وكيف كانا يلعبان ويعيشان  
منذ صغرهما ، يقول :

وَمَلْعَبْنَا فِي النَّهْرِ وَالْمَاءِ زَاخِرٌ      قَرِينِينَ كَالْفُغْصَيْنِ فَرَعَيْنِ فِي أَصْلِ  
وَمِنْ حَوْلِنَا الرِّيحَانُ غَضًّا وَفَوْقَنَا      ظِلَالٌ مِنَ الْكَرْمِ الْمَعْرَشِ وَالنَّخْلِ  
إِذَا شِئْتَ مَالَتْ بِي إِلَيْهَا كَأَنِّي      إِلَى غُضْنِ بَانٍ بَيْنِ دِعْصَيْنِ مِنْ رَمْلٍ<sup>(١)</sup>  
فِيَا طَيْبَ طَعْمِ الْعَيْشِ إِذْ هِيَ جَارَةٌ      وَإِذْ نَفْسَهَا نَفْسِي وَإِذْ أَهْلُهَا أَهْلِي  
وَإِذْ هِيَ لَا تَعْتَلُّ عَنِّي بِرِقَبَةٍ      وَلَا خَوْفِ عَيْنٍ مِنْ وِشَاةٍ وَلَا بَعْلِ  
فَقَدِ عَفَّتِ الْآثَارُ بَيْنِي وَبَيْنَهَا      وَقَدْ أَوْحَشْتُ مَنِي إِلَى دَارِهَا سُبُلِي

وكانت سيدة فاضلة ، فكانت لا ترد عليه رسائله وكانت تنتهر رسله ، بينما  
هو يصطلي بنار الحب المحرقة ويتعذب كما لم يتعذب أحد ، ملوِّحاً لها بأنه سيموت  
في سبيلها وأن أحداً لن يحزن عليه حزنها للجامعة القرابة والحب القديم ، يقول :

وَلَأَنْتِ إِنْ مِتُّ الْمَصَابَةُ بِي      فَتَجَنَّبِي قَتْلِي بِلَا وَتِرٍ  
فَلَنْ هَلَكْتُ لِتَلَطُّعِنِ جَزَعاً      خَدَّيْكَ قَائِمَةً عَلَى قَبْرِى

وعلى هذا النحو ظل حبها قوياً حاراً في قلبه ، وظلت ترده عنها في عنف تارة  
وفي رفق تارة ثانية ، وهو يدكرها عهدهما القديمة وكيف أنه بنى لها وفاء شديداً ،  
بينما هي تدافعه وتقاومه قاطعة لكل عهد وسبب بينها وبينه ، وهو كل يوم يزداد  
بها كلفاً وغراماً وحباً ما فوقه حب ، وفي ذلك يقول :

أَرَى عَهْدَهَا كَالْوَرْدِ لَيْسَ بِدَائِمٍ      وَلَا خَيْرٍ فِيمَنْ لَا يَدُومُ لَهُ عَهْدٌ  
وَعَهْدِي لَهَا كَالْأَسِّ حُسْنًا وَبَهْجَةً      لَهُ نُضْرَةٌ تَبْقَى إِذَا مَا انْقَضَى الْوَرْدُ

(١) الدمص : كتيب الرمل .

وما وَجَدَ العُدْرِيُّ إِذْ طَالَ وَجَدُهُ      بعفراءَ حتى سَلَّ مهجته الوجودُ  
كوجدى غداةَ البينِ عندَ التفاتِها      وقد شَفَّ عنها دونَ أترابِها البُرْدُ  
فقلتُ لأصحابي هي الشمسُ ضوءُها      قريبٌ ولكنْ في تناولِها بُعْدُ  
وفي أشعاره ما يدل على أنه فارق البصرة مع ابن عمه خالد بن يزيد طلباً للسَّلْوَى  
عنها ، ولكنه ظل هناك يذكرها ويذكر حبها متغنياً به وبها ، وعاد يدور حول  
بيتها لا يستطيع كظم حبه ، بل يعلنه إعلاناً ويكرر هذا الإعلان مازجاً له  
بكثير من التضرع والاستعطاف ، وصاحبته لا تُعنى به ولا تكترث ، وهو يزداد بها  
شغفاً وهياماً ناظماً فيها أشعاره البديعة من مثل قوله :

صَبِعَتْ عهدَ فتى لعهدك حَافِظٍ      في حفظه عجبٌ وفي تضييعك  
ونأيتِ عنه فماله من حيلةٍ      إلا الوقوفُ إلى أوان رجوعك  
متخشعاً يُذرى عليكِ دموعهُ      أسفاً ويعجب من جمود دموعك  
إن تفتنيه وتذهبي بفؤاده      فبحسنِ وجهك لا بحسنِ صنيعك  
وأكبر الظن أنه ظل يذكرها ويتغنى بها حتى الأنفاس الأخيرة من حياته ،  
وقد جرته غيرته من زوجها إلى لزه ببعض هجائه . وكانت له نظرات وتأملات  
دقيقة في الحياة جعلت الحكمة تجرى أحياناً على لسانه ، ومن رائع ما يروى له  
في تصوير القدر والحظوظ :

ما لا يكون فلا يكون بحيلةٍ      أبداً وما هو كائنٌ فيكونُ  
سيكون ما هو كائنٌ في وقتهِ      وأخو الجهالة مُتَعَبٌ محزونُ  
يسعى القويُّ فلا ينال بسعيهِ      حَظًّا ويحظى عاجزٌ ومهينُ

وواضح من كل ما قدمنا أنه كان نبعاً غزيراً من ينابيع الشعر العباسي ؛  
ويقول ابن المعتز إن « شعره أنقى من الراحة ، ليس فيه عيب ولا بيت يسقط » .  
ويقول أبو الفرج : « كان أبو عيينة من أطعم الناس وأقربهم مأخذاً . . وكان  
يقرب البعيد ويحذف الفضول ويُقلِّ التكلِّف » . وفي حديث ابن المعتز عنه  
ما يدل على أنه لحق خلافة المأمون ويظهر أنها لم تطله طويلاً .

عبد الصمد<sup>(١)</sup> بن المعدل

من قبيلة عبد القيس ، ومولده ومنشؤه بالبصرة ، وهو من بيت شعر ، كان جده غيلان بن الحكم شاعراً ، ويروى أن محمد بن سليمان العباسي كان يستخدمه في ولايته البصرة على بعض أعشارها ، فظهرت منه خيانة فعزله وأخذ ما خانه فيه ، فقال حماد عَجْرَدُ بهجوه بهذين البيتين اللذين أنشدناهما في غير هذا الموضع :

ظَهَرَ الْأَمِيرُ عَلَيْكَ يَا غَيْلَانُ إِذْ خُنْتَهُ إِنْ الْأَمِيرُ مُعَانُ  
أَمَعَ الدَّمَامَةَ قَدْ جَمَعْتَ خِيَانَةً قَبِحَ الدَّمِيمِ الْفَاجِرُ الْخَوَّانُ

وكان ابنه المعدل شاعراً مجيداً ، وقد أسلفنا ما نشب بينه وبين أبان بن عبيد الحميد من هجاء كانا يتعابثان به ، ومن طريف ما يُنسب إليه من شعر قوله :

وَإِنِّي لَصَبَّارٌ عَلَى مَا يَنْوِينِي وَحَسْبُكَ أَنْ اللَّهُ أَدْنَى عَلَى الصَّبْرِ

وأم عبد الصمد أم ولد يقال لها الزرقاء ، وكان له أخ يسمى أحمد كان شاعراً أيضاً ، يقول أبو الفرج : « كان عفيفاً ذا مروءة ودين وتقدم في المعتزلة » . وفي أشعار عبد الصمد ما يدل على أنه كان يختلف إلى حلقات الرواة واللغويين إذ يقول :

لَنْ تَلْبَسُوا مَنْطِقِي بِمَشْكَلَةٍ إِلَّا عَنِ الْأَصْمَعِيِّ أَوْ خَلْفِ<sup>(٢)</sup>

يريد خلفاً الأحمر . وكان على عكس أخيه أحمد فيه طو ومجون وتعابث ، وكان هجاءً خبيث اللسان حتى ليصبح الهجاء عنده كأنه غريزة ، فإذا هو يتناول به أخاه ، وكان له جاه واسع في بلده وعند حكامه لا يقاربه عبد الصمد

الوفيات والأوراق للصولي (قسم أخبار الشعراء)  
ص ٣٩، ٥٣، ١٣٦، والوساطة بين المتنبي وخصومه  
(طبعة الحلبي) ص ١٢١ و ٢٩١ و ٣٠١ .  
(٢) لبس الأمر : خلطه .

(١) انظر في عبد الصمد وأخباره وأشعاره ابن المعتز ص ٣٦٨ والأغانى (طبعة دار الكتب)  
٢٢٦/١٣ وما بعدها و ٣٦١/١٤ وما بعدها  
وكتاب الورقة لابن الجراح ص ٣٠ ووفيات

فيه فكان يحسده ويهجوه فيحلم عنه ، وحدث أن قدم على بعض الخلفاء فأكرمه وخلع عليه ووصله بمال كثير ، ورجع إلى البصرة ، فاستقبله جلَّتها استقبالا حافلا ، أما عبد الصمد فاستقبله بقوله :

ولما أن أتته دُرَيْهَمَاتٌ من السلطان باع بهن ربه  
كسبت أبا الفضول لنا معاباً وعاراً قد شملت به وسبة

وفكر أحمد في أن يجاور في الثغور ويجاهد في جيش إسحق بن إبراهيم المصعبي صاحب بغداد وحاكمها ولم يكده يلقاه حتى أنشده شعراً مدحه به ، فأمر له بخمسة دنانير . وبدا لأحمد أن يعود إلى البصرة ، فتلقيه عبد الصمد بقوله :

يُرى الغزاة بأن الله همته وإنما كان يغزو كيس إسحاق  
فباع زهداً ثواباً لا نفاذ له وابتاع عاجلاً رُفد القوم بالباقي<sup>(١)</sup>

وكان لا يخف على نفسه أحد أبناء أخيه ، ويقال إنه كان فيه تيه وعجب ، فتولاه كما تولى أباه بأهاج كثيرة من مثل قوله :

يا أبغض الناس في عُسرٍ وميسرةٍ وأقدر الناس في دُنْيَا وفي دين  
لو شاء ربي لأضحى واهباً لأخي بمرُّ نُكُلِكَ أجراً غير ممنونٍ  
إن القلوب لتطوى منك يابن أخي إذا رأتك على مثل السكاكين

وطبيعي وهذا شأنه في أهله أن يعظم شره على من حوله من الشعراء ، وأن يقود معهم معارك هجاء كثيرة ، وهي معارك كثرت فيها السهام المسمومة ، على نحو ما نجد في أهاجي حمدان بن أبان له ، إذ قذف أمه الزرقاء طويلاً ، وكان كثيراً ما يأتي هو نفسه الشعراء من هذه الجهة لا يتورع ، من مثل قوله في أبي رهم :

لو جاد بالمال أبو رهم كجوده بالأخت والأم  
أضحى وما يُعرفُ مثلُ له وقيل أسخى العُرب والعُجم  
واشتبك مع الجمَّاز ابن أخت سلم الخاسر ، وكان لا يقل عنه خبثاً في

هجائه ولا شراً ، وكان مما صَبَّهَ الجَمَازُ على رأسه قواه :

ابنُ المَعْدَلِ مَنْ هُوَ وَمِنْ أبوه المَعْدَلُ  
سَأَلْتُ وَهَبَانَ عَنْهُ فَقَالَ : بَيْضٌ مُحْوَلٌ (١)

وكان وهبان رجلاً يبيع الحمام ، فجمع طائفة من أصحابه وجيرانه وجعل يَغْشَى المجالس ويخلف أنه ما قال : عبد الصمد بيض محول ويسألهم أن يعتذروا إليه ، فلم يبق خاص ولا عام إلا رواهما ، وردَّ عليه عبد الصمد قائلاً :

نَسَبُ الجَمَازِ مَقْصُورٌ إِلَيْهِ مِنْهَا  
لَيْسَ يَدْرِي مِنْ أبُو الجَمَّةِ أِلا مَنْ يَرَاهُ

غير أن شعره فيه لم يشع على الألسنة ، لأن فهمه يحتاج إلى شيء من الفطنة .  
وقوع بينه وبين يزيد بن محمد المهلبى الشاعر تباعد ، فهجاه يزيد ونسبه إلى الشؤم ،  
فكأله الصاع صاعين ، ونراه يتعرض لأبي تمام حين اجتمع به في مجلس مزرباً  
على تكسبه بشعره ، قائلاً له :

أنت بين اثنتين تَبَرُّزُ لِلنَّا س وكلتاها بوجهٍ مُدَالٍ (٢)  
لست تنفكُ طالباً لوصالٍ من حبيبٍ أو طالباً لِنَوَالٍ  
أى ماءٍ لِحُرِّ وجهك يبتى بين ذُلِّ الهوى وذُلِّ السُّؤالِ  
وفكر أبو تمام في إفحامه ، ثم أنشد :

أَفِيَّ تَنْظِمُ قَوْلِ الزُّورِ وَالْفَنَدِ وَأَنْتَ أَنْزَرُ مِنْ لاشيءٍ فى العَدَدِ (٣)  
أَشْرَجْتَ قَلْبِكَ مِنْ بَعْضَى عَلَى حُرْقٍ كَأَنَّهَا حَرَكَاتُ الرُّوحِ فى الجَسَدِ (٤)

وكان لا يزال يصبُّ سياط هجائه على جيرانه ومن يختلط بهم من القيان  
اللائي يُعْرَضْنَ عنه وأصحابهم من المقينين ، وله مرثية كلها هجوفى أحد الطفيليين  
وقد صورَّ فيها نهمه وموته من هذا النهم ، استهلها بقوله :

(٢) الفند : الكذب .

(٤) أشرجت هنا : نسجت .

(١) محول : حفضه غير أبويه .

(٢) مدال : مهان .

أحزانُ نفسى عليه غير مُنصَرِمَةٍ وأدمعى من جفونى الدهر مُنسجمه  
وله أشعار مختلفة فى الغلمان وقصيدة بديعة يصور فيها عشق جارية مغنية  
لشباب كان كاتباً عند مولاها ابن الجوهرى وكان شيخاً هيماً قبيح الوجه ، وكيف  
أنها هربت إليه فى جنح الليل ، وفيها يقول :

خرجتُ بالليلُ معتكراً لم يَهْلها أبةٌ سلكتُ  
وعيونُ الناسِ قد هجعتُ ودُجى الظلماءِ قد حلكتُ  
لم تخفُ وجداً بعاشقها حرمةُ الشهرِ الذى انتهكتُ  
ورأتُ لما شفتُ كمداً أنها فى دينها نسكتُ

وكان يحسن تصوير ما يصفه ، وهو لإحسان جعله يبرع فى تصوير الطبيعة ،  
ويظهر أنه كان يشغف بمناظرها شغفاً شديداً على نحو ما نرى فى تصويره لبستانه ،  
وكان بستاناً غاصاً بالأشجار والرياحين وفيه يقول :

إذا لم يَزُرِنِي نَدْمَانِيَّةُ خلوتُ فنادمتُ بُسْتَانِيَّةُ  
فنادمته خَضِراً مُونِقاً يُهَيِّجُ لى ذَكَرَ أَشْجَانِيَّةُ  
يقربُ لى فَرَحَةَ المُسْتَلِدِّ وَيُبْعَدُ هَمِي وَأَحْزَانِيَّةُ  
أرى فيه مثلَ مدارى الطُّبَاءِ نَظْلُ لَأَطْلَاطِهَا حَانِيَّةُ<sup>(١)</sup>  
وَنَوْرَ أَفَاحِ شَتِيَةِ النِّبَاتِ كما ابتسمتُ عَجَباً غَانِيَّةُ  
وَنَرَجِسُهُ مِثْلُ عَيْنِ الفَتَاةِ إلى وَجَدَ عاشقها رَانِيَّةُ

وقد مرت بنا فى حديثنا عن ازدهار الشعر قطعة طويلة من قصيدته الرائعة فى  
تصوير حُمى أصابته تصويراً يدل على دقته فى الوصف وإحاطته بتفاصيل ما يصفه .  
ومما لا شك فيه أنه كان شاعراً بارعاً خصب القريحة ، وأنه كان يحرص على الألفاظ  
المألوفة ، ولكن مع المتانة والرصانة ، وكانت وفاته سنة ٢٤٠ للهجرة .

(١) المدارى : القرون . الأملاء : جمع طلا  
وهو ولد الظبية ساحة يولد . والامتارة واضحة .